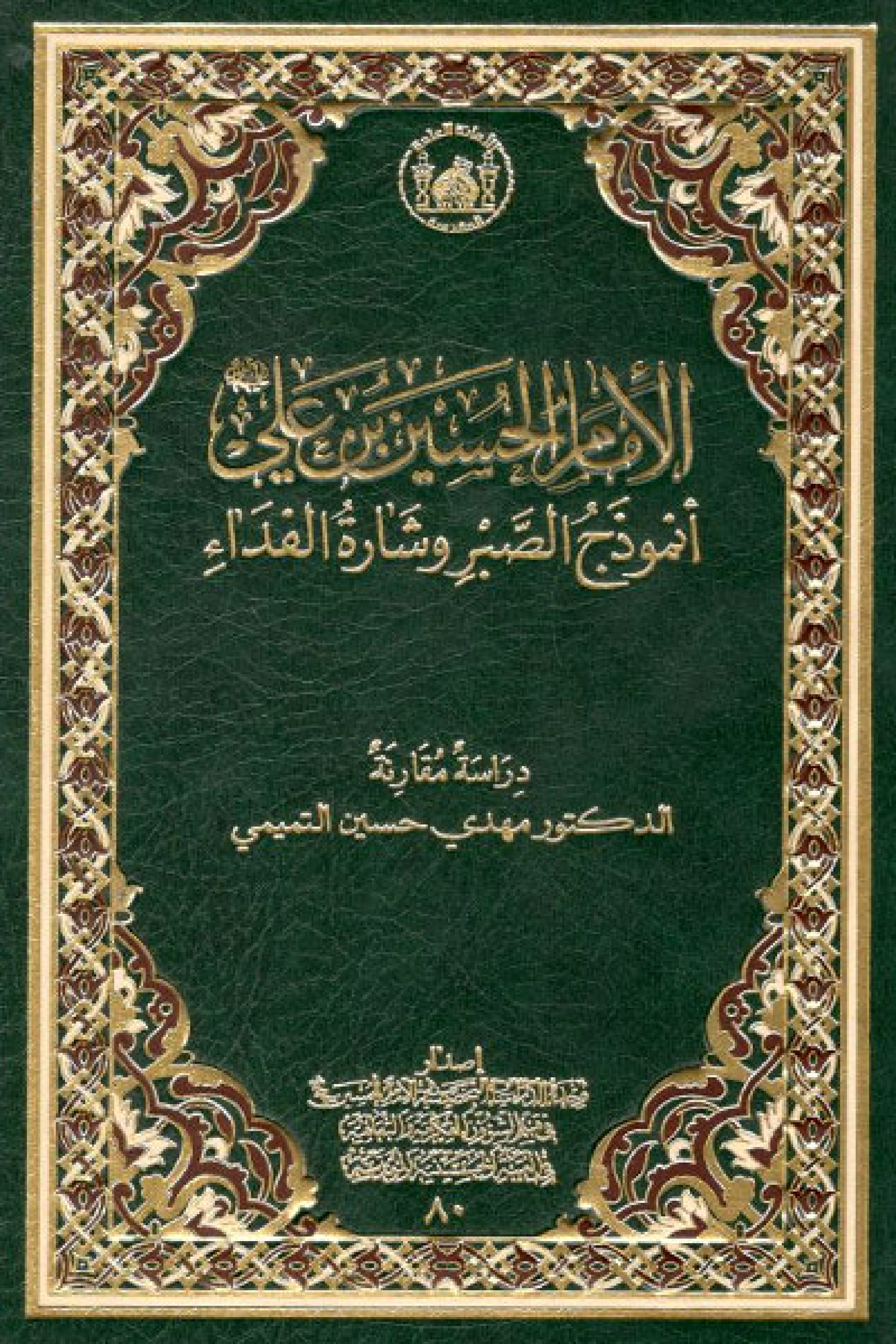
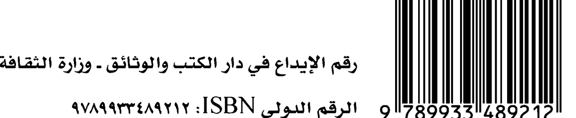

الإمام الحسين بن علي
أنموذج الصبر وشارة الفداء
دراسة مقارنة
الدكتور مهدي حسين التميمي
إصدار
٨٠



الإمام الحسين بن علي عليه السلام

أنموذج الصبر وشارة الفداء



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١١: ٢١٩٠

الرقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٢١٢

BP
٤١/٥٠٨
٨ ت /
٥ ح

التميمي، مهدي حسين.

الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء دراسة ومقارنة / [تأليف] مهدي حسين التميمي. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

ص٩٦. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٨٠).

المصادر: ص ٨٩ - ٩٠؛ وكذلك في الحاشية.

١. الحسين بن علي، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. الشهادة - مطالعات تطبيقية. ٢. الأنبياء - الشهادة - مطالعات تطبيقية. ٣. واقعة كربلاء، ٦١ ق. ٤. واقعة كربلاء، ٦١ق. - النساء. ٥. زينب بنت علي (س). - خطب. ٦. واقعة كربلاء، ٦١ق. شعر. ألف. العنوان.

BP ٤١ / ٥٠٨ / ٨ ت ٥ ح

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



دراسة مقارنة

الدكتور مهدي حسين التميمي



إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

الموقع الالكتروني: imamhussain-lib.com

البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com



".. قال جبريل : قال الله تعالى :

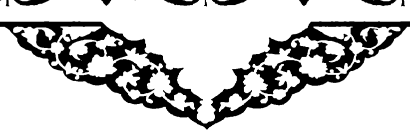
(إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بدم الحسين ابن علي عليهما السلام سبعين ألفاً"

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

"واني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين".

"الإمام الحسين" عليه السلام.





مقدمة اللجنة العلمية

في أي الأمور تلج، ومن أيّها تبدأ، فلعل ذلك أصعب ما في الحسين بن علي عليهما السلام ذلك الإمام الذي لم نقرأ تاريخه إلا لماماً مبعثراً بين هول الفجيعة وبين نشوة النصر، فالفجيعة تأخذك بأبعادها اللامتناهية كلاتناهي الغلظة والبشاعة التي مثلتها أجلاف من شذاذ الدين ومقامري السياسة، بل كلاتناهي الأخلاق الفاضلة التي حملها الإمام في تعاطيه مع الأحداث كجزء من مقتضيات الرسالة ذات الإصلاح الإلهي وهو يحملها في ذلك اليوم الكربلائي على محياه كما يختزنها في قلبه الكبير.

وإذا كان للنصر نشوته فانه يستطيل باستطالة ذلك الشموخ الذي أظهرته قامات الأصحاب ليروا سيدهم الإمام شامخاً بشموخ المهمة وخلود الذاكرة التي تستجلي حقائق ذلك اليوم العصيب.. ولعلك تفتتح في تاريخ الحسين تاريخ جيل من أنبياء الله المصلحين الذين قدّموا

رسالتهم الإلهية المصبوغة بدمائهم القانية على أكفهم ليتداولوها من نبي مقتولٍ إلى نبيٍ مشردٍ مقهور، حتى نبي يتجرعُ غصص الابتلاء يرفعه الله إليه مذخوراً ليوم الخلاص.. فالحسين بن علي عليهما السلام ذلك الإمام الممتحن المقهور يأبى أن يغادر هذه الأرض حتى يخطّ عليها بدمائه رسالة الأجيال يقرأونها فاجعة الرسالة وشذى الإصلاح الذي استنشقته الإنسانية فغفت عليها آمال المحرومين وعصفت بعروش الظالمين.. هذه هي فاجعة كربلاء لرسالة عنوانها «الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء» كما أرادها الأستاذ الباحث مهدي حسين التميمي أن يقرأها من زاوية أخرى يستعرض فيها مأثرة الشهداء في الحسين، ويستوحي فيها مأثرات النصرة والفداء تمثلها المرأة في معركة الطف، تلك الوقعة بحضورها الرسالي في مشهدها المتميز، ثم يقرأ في شواخص الشهادة بين مقامين، مقام يحيى النبي ومقام الحسين عليه السلام الإمام فهو عظة التاريخ كما هو عظة الدين.

ثم ينقلنا إلى واقعة الفجيعة بل إلى خبر مفجع ذلك النبي أيوب مقارناً بالإمام الشهيد.. يصوّر لنا الرؤوس المنتصبة على سواري الشهادة وقضية الخلاص ليشهد السيد المسيح والإمام الحسين عليه السلام والمهمة المشتركة، بل نهاية فاجعة الإصلاح وأخيراً يروي لنا «مأثرة الحسين عليه السلام في الشهادة ــ المواساة والموالاة الخالدة ــ» ذلك الشهيد الرسالي الخالد.

ويستطلع الكاتب ما يحمله التاريخ من قنوات الفكر التي تسقي إحداها الأخرى لتمده بالحيوية كما مدته بثورة الإصلاح..

فالحسين بن علي عليهما السلام ذلك الخالد في ذاكرة الثوار تستجلي مواقفه مأثرات الفداء في شخوص ثلاثة من الأنبياء، يحيى وعيسى وأيوب، أولئك الذين مثّلوا الإصلاح كما أنهم قدّموا للصبر صوره القرآنية الناصعة، وما يميز الحسين عليه السلام انه لم يتفرد بالصبر وحده بل كانت أخته زينب ذلك الأنموذج في الصبر، لأن الحسين عليه السلام مدرسة الصبر، كما هو شارة التضحية والفداء..

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

النجف الأشرف

مقدمة الكتاب

ليس ثمة ما هو أعظم وأجل في الاعتبار المبدئي والروحي من المعاناة والتضحيات الجسام والمعمدة بالدم للأنبياء وأولياء الشهادة، وانها الصفة الغالبة للأنبياء أولي العزم وأوليائهم، انه قد كانت لهم حصة مشتركة ومتفاوتة من نسيج المعاناة الرسالية الطويلة وقد نحتوا من خلال ذلك خلودهم في الذكر الرسالي وأشادوا عمائر الإيمان، وقد حفلت الكتب المقدسة بذكر الشواهد من أوجه المعاناة الرسالية، وذكر القرآن الكريم من ذلك وافراً من أوجه تلك المعاناة، وعلى امتداد رحلة الإبلاغ الرسالي، وقد عبر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، -وقد لقي نصيبه الوافر من المعاناة والكيد- عن وجه من تلك المعاناة ما روي عن عبد الله بن مسعود قوله: "كأني انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[1].

---

(١) مختصر صحيح مسلم، ص٧٤.

وقد تجسدت من خلال تلك المعاناة والمكابدة والبطش، والتي جئنا على ذكر مشاهد منها في فصل خاص من كتابنا "موسوعة مقارنة الأديان السماوية" — ثمار المجهود الرسالي للأديان، وتأكدت شواهد الإثبات التاريخي لخلود الذكر الرسالي خلال ذلك، ذكراً وشخوصاً للمبادئ والقيم الاعتبارية التي انتظمتها رسالات الأديان، وذكراً لشخوصها المؤثرة في مجرى الأحداث، وقد كان نصيب الأنبياء أولي العزم وأوليائهم من ذلك هو الأخص؛ إذ إنهم استطاعوا ان يتركوا بصماهم واضحة على مجرى الأحداث، شواهد في الزمن السابق واللاحق، وفيما ان المجد الرسالي للأديان قد توافرت عليه التضحيات الجسام للأنبياء ذوي العزم وأوليائهم الذين نالوا قدرهم الأوفى من التنكيل والبطش، حصصا متكاملة ومتواترة من نسيج المعاناة الرسالية، هي الجزء من ذلك المسلسل الطويل من مشاهد العداء السافر لهم من الخلائق الشريرة في الكون للأنبياء ما جاء على ذكره القرآن الكريم:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[1].

وقد نال أولياء الأنبياء وصحابتهم من بعدهم حصة مضاعفة من ذلك الكيد والبطش ما جئنا على ذكر شواهد منه في مبحثنا "رموز الفداء والتضحية في الأديان"، ومن ذلك ما واجه أهل بيت النبوة من صنوف

(١) الأنعام: ١١٢.

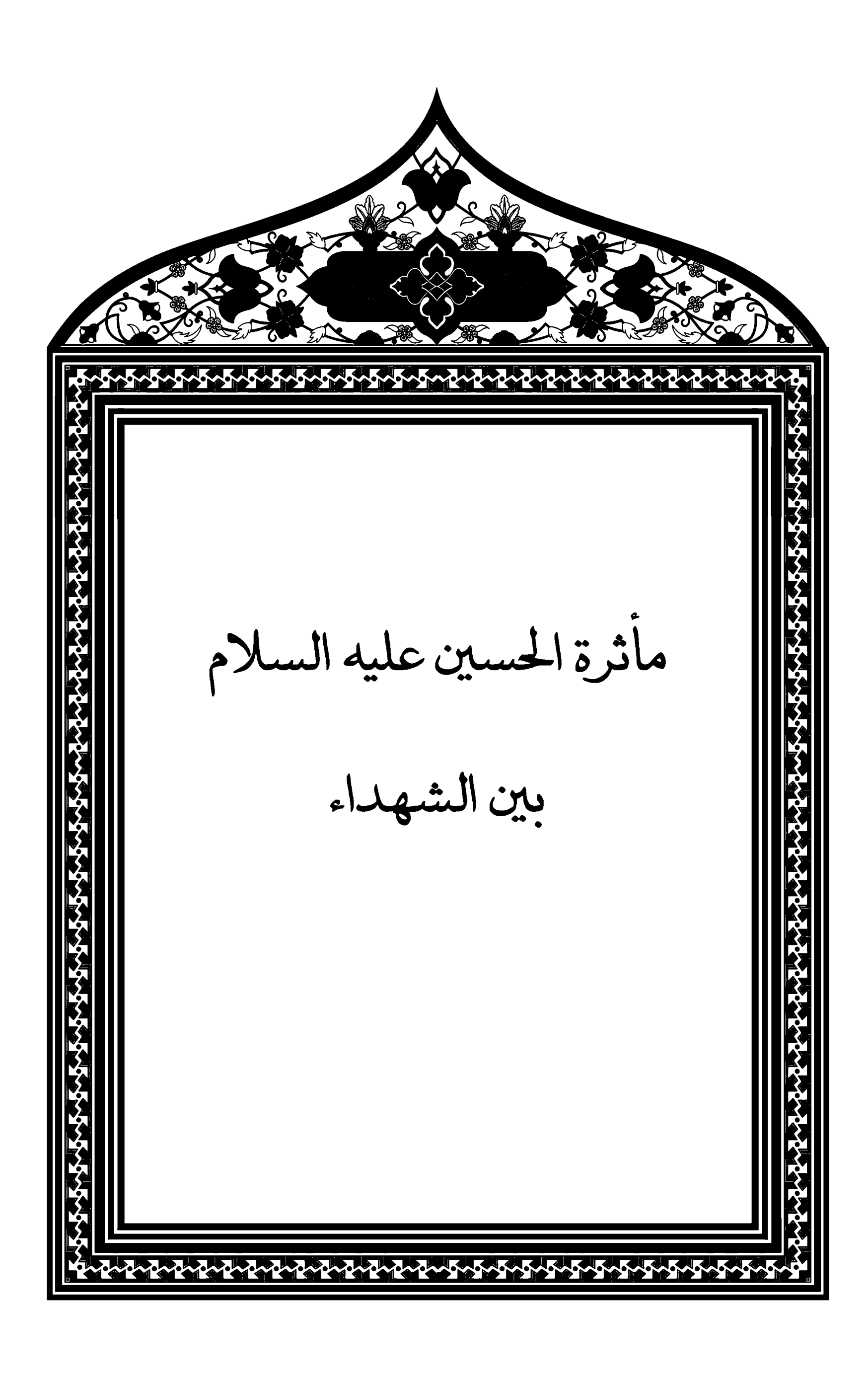
الكيد والتنكيل كان أبشعها وأفظعها ما جرى للإمام الحسين (عليه السلام) وخاصّة أهل بيته وصحابته في واقعة الطف، والتي ظلت آثارها ومآثر ذكراها شاخصة على مر الدهور، في الفظاعة من مشهد القتل هي صنو مأساة النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام وقد ظلت شواهدها وعلائم ذكراها قائمة على ذات الأرض التي حملت رأسيهما الشريفين درراً على أطباق الشهادة، فيما جاوز المشهد الحسيني في الشهادة وما بعدها كل المشاهد الأخرى في الفظاعة، انه قد امتد إلى التنكيل والفتك بالبقية من آل بيت النبوة إمعانا وإسرافا في الجريمة المنظمة لمحو الذكر الرسالي، واجتثاث أصوله ومنابع شخوصه في الأرض، وقد أبى الله إلا أن يخلد هذا الذكر مع خلود ذكر الله وعلائمه في الوجود.

ومن المشاهد الفريدة في واقعة الطف ما كان من تضحيات المرأة في اقتحامها لساحة المعركة واستشهادها، وقبل ذلك وبعده تجاوز الحالة الطبيعية للمرأة في تقبلها لمصرع أبنائها وأزواجها وإخوانها بالرضا والاطمئنان ما كانت له مشاهد أثيرة وجليلة القدر جئنا على ذكر الشواهد منها، وقد هيأ للسيدة زينب (عليها السلام) التي واكبت ملحمة الفداء في الطف وشهدت مصارع الرجال والنساء ومحنتهم فيها ما تعالت فيه بمواقف من العزم والصبر والتحدي للمحن المفجعة فيها وفي مواقف جئنا على ذكر بعض شواهدها ما يرسم صورة إشراقية لدور المرأة في التاريخ الرسالي.

وفي هذا المبحث الخاص عن مأثرة الشهادة للإمام الحسين (عليه السلام) نقدم خلاصة للموقف المبدئي، الرسالي للإمام الحسين (عليه السلام) في مقاومة الانحراف عن منهج الشريعة واستشهاده بتلك الطريقة المفجعة مع خاصة أهله وصحابته الأكرمين، وقد ذكرنا بإزائها شواهد من التضحيات في التاريخ الرسالي مما كان للنبيين الشهيدين عيسى بن مريم و يحيى بن زكريا مع بيان أوجه التفاوت في طبيعة وظروف الشهادة فيما بينهم، وذكر مأثرة الصبر وفجيعته بالنسبة للنبي أيوب (عليه السلام) مقابل ما تميزت به مأثرة الصبر والفداء للإمام الحسين (عليه السلام)، شواهد ماثلة بتاريخ الفداء والتضحية الرسالية التي شكلت الامتداد لروح المعاناة والشهادة الرسالية ما قد بلغت به الرسالة الإلهية هذا الشوط الذي بلغته عمارة في النفوس، وعمارة في الأرض تشهد لها هذه المقامات الشامخة والخالدة خلود ذكر الله، وفيما ارتقى الذكر الحسيني من ذلك وبكل معالم الفداء الرسالي ذكراً متجدداً في النفوس على مدى الآجال، عنوانا ورمزا لخلود المجد الرسالي في الشهادة وحضوره الدائم والمتجدد في الحياة.

ا.م.د. مهدي التميمي

بغداد ٢٠١١م



مأثرة الحسين عليه السلام

بين الشهداء

تعد حادثة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حالة نادرة ومميزة في ظروفها، وتوقيتها، ونتائجها، وقد عد الفيلسوف الألماني "ماريين" مسيره إلى الكوفة بنسائه وأطفاله سيراً إلى الموت، وأنه لم يذكر التاريخ رجلاً ألقى بنفسه وأحب الناس إليه في مهاوي الهلاك إلا الحسين، ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل ملك الأمويين الواسع ويقلقل أركان سلطانهم، وكان نقش خاتمه "الله بالغ أمره"[(١)].

وقد ذكرت الموسوعة العربية العالمية في مناقب الإمام الحسين: أنه كان فاضلاً، كثير الصوم والصلاة، والحج، والصدقة، وأفعال الخير، وقيل حج خمساً وعشرين حجة وهو يمشي على رجليه، وحدث عن جده وأبويه، ...، وطائفة، وحدث عنه ولده علي وفاطمة، وخلق كثير، وقد أوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحسن بيان وغنة صوت وجمال إيماء، وأخذ نفسه بسمت الوقار في رعاية أسرته ورعاية الناس عامة فهابه الناس، وعرف معاوية عنه هذه المهابة فوصفه لرجل من قريش

---

(١) الاعلام، للزركلي، ج٢، ص٣٤٣.

ذاهب إلى المدينة فقال: "إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرايت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله مؤتزاً إلى أنصاف ساقيه"، وقد تداول الناس الروايات الكثيرة عن علمه الغزير وفصاحته الموهوبة وشجاعته المتوارثة، ووفائه وفروسيته، وقد سنّ الحسين عليه السلام لمن بعده سُنّة من الآداب تليق بالبيت الذي نشأ فيه، ووكل إليه أن يرعى له حقه ويوجب على الناس مهابته وتوقيره، فهو على فضله وذكائه وشجاعته كان يستمع إلى الرأي الحسن ولا يسوؤه بالمراجعة أو المخالفة، ووردت روايات كثيرة تذكر فضله ومحبة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم له، منها ما روى حذيفة: أن ملكا هبط إلى النبي (لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويبشره بأن الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء الجنة - رواه أحمد والترمذي -[1]، ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد نص على تنزيه الله للبيت النبوي الذي ضم الإمام الحسين عليه السلام وطهارته من الرجس:

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" (الأحزاب: ٣٣).

وقد احتج العلامة ابن خلدون بالآية مارة الذكر في رد الطعن في

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، مج ٨، ص٣٤٤- ٣٤٥.

نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالقول: إن تنزيه أهل البيت من مثل هذا من عقائد أهل الأيمان، فالله سبحانه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً... ففراش إدريس طاهر ومنزه من الرجس بحكم القرآن، ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بإثمه وولج الكفر من بابه..، وانه إذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً وديناً وآثاراً من النبوة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة"[١].

والمأثرة الكبرى للإمام الحسين عليه السلام في الشهادة أنه عاش مع أجواء الشهادة، ومات فيها، وقضى أخلاقه من بعده في الشهادة، فقد كتبت الشهادة لوالده الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بضربة غادرة في مسجد الكوفة عند صلاة الفجر، وقد أمضى زمناً قاسياً وهو يواجه الخوارج والمرتدين على سلطة الخلافة الراشدية، واستشهد عمه جعفر بن أبي طالب، المعروف بـ(جعفر الطيار) في معركة مؤتة، أولى معارك الفتح الإسلامي خارج الجزيرة العربية على عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واستشهد أخوه الحسن عليه السلام بدس السم له بعد تبديد جيشه المقاوم للسلطة الأموية، بالمناورات والمساومات، واستشهد ولدا الإمام الحسين عليه السلام علي، وعبد الله (عليهما السلام) بين يديه،

(١) المقدمة لابن خلدون، ص٣٤٥.

واستشهد معه من بني عمومته وأهله وجميع أصحابه الذين زاد عددهم على السبعين في معركة واحدة وأمام أنظاره في واقعة غير متكافئة ومروعة بالطف في كربلاء.

وكان الإمام الحسين عليه السلام الشاهد على مأثرة فريدة من مآثر الخلق الرسالي ما اتصف بها الأنبياء والأولياء في الغاية من الحلم والسماحة في مواجهة الكيد والعدوان عليهم، هي في ذات المشهد الرائع من الحلم واحتمال أذى الغير مما سبق ذكره عن نهي السيد المسيح لأحد تلاميذه عن التعرض بالقوة لمن تجرأ عليه، وإن في المشهد التالي لما جرى بين والد الإمام الحسين عليه السلام (علي بن أبي طالب) (عليهما السلام) وقاتله ما فيه دالة الحلم المتناهي، فإنه لما ضرب ابن ملجم الخارجي الإمام علياً عليه السلام تلك الضربات القاتلة بسيف مسموم عند صلاة الصبح في مسجد الكوفة وجيء به مكتوفاً وقد أقبل به الإمام الحسن بن علي على أبيه عليهما السلام، وقال له: "هذا هو عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك"، فتح الإمام علي عليه السلام عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه معلق في عنقه فقال له بضعف وانكسار صوت ورأفة ورحمة:

"يا هذا لقد جئت عظيماً..، وخطباً جسيماً، أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء؟ ألم أكن شفيقا عليك وآثرتك على غيرك وأحسنت إليك وزدت في عطائك؟ ألم أكن يقال لي فيك كذا وكذا

فخليت لك السبيل ومنحتك من عطائي؟ وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محال، ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك يالكع فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء"، فدمعت عينا ابن ملجم وقال: "يا أمير المؤمنين: "أفأنت تنقذ من في النار"، قال له: صدقت، ثم التفت إلى ولده الحسن وقال له: "أرفق يا ولدي بأسيرك، وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً وفزعاً؟، فقال له الحسن: "يا أباه قد قتلك هذا اللعين.. وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به؟، فقال: "نعم يا بني نحن أهل البيت لا نزداد على الذنب إلينا إلا كرما وعفواً، بحقي عليك، فأطعمه يا بني مما تأكله، واسقه مما تشرب، ولا تقيد له قدما ولا تغل له يدا، فإنْ أنا مت فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة، ولا تحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور"، وإن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو وأنا أعلم بما أفعل به"[(١)].

وتلك أمثلة من الصفح والسماحة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، هي أخلاق النبوة وأولياء النبوة، شهادهم شهادة للتاريخ أن قيم السماحة في الرسالات الدينية واحدة تجد شخوصها في هذا المشهد أو ذاك من مشاهد السيرة الرسالية، نهجاً واحداً متصلاً بقيم الأخلاق في الأديان.

---

(١) الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص٣٤٤-٣٤٥.

وعلى ذلك فإن الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ في مأثرته الاستشهادية، وعلى تلك الصورة التي جرت عليها الأحداث في واقعة الطف، قد جسد بالحق قول الكاهن يارا فيه أنه "ضمير الأديان كلها والى الأبد"، وهو الضمير الذي يقوم على الخير ونصرة الحق والجهاد في سبيل ذلك، جهاداً أرقاه وأسماه الجهاد بالنفس.



المضي إلى الشهادة

ولقصد مبدئي سجل الإمام الحسين عليه السلام موقفه التاريخي المشهود حين خرج من موطنه ومستقره في المدينة المنورة سنة ستين للهجرة، فإنه لما أرسل يزيد بن معاوية عامله عليها ليأخذ البيعة منه، أعلن الرفض لبيعة من اشتهر بفسقه وفجوره ما يفوق ما ذكر عن هيرودس حاكم فلسطين أيام النبيين الكريمين السيد المسيح، ويحيى بن زكريا (عليهما السلام)، ما أنكره عليه خاصة الصحابة والأتقياء، ويروي لنا أحمد بن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة من ذلك: أن أبا هريرة لما علم بولاية يزيد استعاذ منها لما علمه من قبيح أحواله لسبق إعلام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن أهل المدينة قد خلعوه لإسرافه في المعاصي، وروى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى الفراء في كتابه "المعتمد في الأصول" بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: إن قوما ينسبوننا إلى تولي يزيد، قال: "يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله، قلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه فقال في قوله تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾.

وقد أخرج الواقدي: أن عبد الله بن حنظلة قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن كان رجلاً ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة.

وقال الذهبي: إن يزيد فعل بأهل المدينة ما فعل مع إتيانه المنكرات، وقد اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد، وفي وقعة الحرة التي شنها على أهل المدينة سنة ثلاث وستين وقع فيها القتل والفساد العظيم والسبي واستباحة المدينة، فإنه قد قضي نحو ثلاثمائة بكر، وقتل من الصحابة نحو ذلك وممن قرأ القرآن نحو سبعمائة، وأبيحت المدينة أياما وبطلت الجماعة من المسجد النبوي واختفت أهل المدينة أياما فلم يمكن أحداً دخول مسجدها حتى دخلته الكلاب والذئاب وبالت على منبره.. تصديقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يرض أمير ذلك الجيش إلا أن يبايعوه ليزيد، على أنّه خِوَلٌ له إن شاء باع وإن شاء أعتق، فذكر له بعضهم البيعة على كتاب الله ورسوله فضرب عنقه، ثم سار جيشه إلى قتال ابن الزبير فرموا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها بالنار".

وفي ذلك الوقت وقبل أن تستباح المدينة المنورة وعلى ذلك النحو الهمجي غادرها الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة، فسمع أهل الكوفة

بذلك فأرسلوا إليه أن يأتيهم ليبايعوه وليمحو عنهم ما هم فيه من الجور، ومن الغريب الملفت للنظر أن الإمام الحسين عليه السلام قد خالف في خروجه من المدينة إلى مكة ثم إلى الكوفة نصائح العديد من خاصة الصحابة ومن أهل بيته لغاية ارتبطت بموقف امتثل فيه لذلك القصد الرسالي الكبير كمثل ما امتثل الأنبياء والأولياء لأقدارهم في اختيار المركب الصعب وصولاً إلى الغاية الرسالية، فإن ابن عباس قد نهى الإمام الحسين عليه السلام عن الذهاب إلى الكوفة وبيّن له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه فأبى، وطلب منه أن لا يذهب مع أهله فأبى فبكى ابن عباس، وقال: "يا حبيباه".

وقال ابن عمر نحو ذلك فأبى فبكى ابن عمر، وقبّل ما بين عينيه، وقال: "استودعك الله من قتيل!"، ونهاه ابن الزبير أيضاً، فقال له: حدثني أبي أن لمكة كبشاً يستحل حرمها، فما أحب أن أكون أنا الكبش"، ولما بلغ مسيره أخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طشت يتوضأ فيه فبكى حتى سقط فيه من دموعه، ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره.

وهكذا مضى الإمام الحسين عليه السلام إلى غايته؛ ليسجل حضوره في ساحة المواجهة مع قوى الشرك مع سابق علمه بمصيره كمثل ما كان من أمر السيد المسيح عليه السلام قبل ذلك، فإنه قد مضى إلى

أجله المحتوم، وقد بدأ يصرح لتلاميذه بأنه يجب عليه أن يذهب إلى أورشليم (القدس)، وليتألم كثيراً على أيدي شيوخ المدينة ورؤساء الكهنة ومعلمي الشريعة، ويموت قتلاً، ولم يثنه عن عزمه ما كان من عتاب بطرس أخص تلاميذه وقوله: "لا سمح الله يا سيد ان تلقى هذا المصير"، فيلتفت ويقول لبطرس: "ابتعد عني يا شيطان!، أنت عقبة في طريقي لابد أفكارك هذه أفكار البشر لا أفكار الله.. من أراد أن يتبعني، فلينكر نفسه ويحمل صليبه، ويتبعني، لأن الذي يريد أن يخلص حياته يخسرها، ولكن الذي يخسر حياته في سبيلي يجدها، وماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه، وبماذا يفدي الإنسان نفسه"[(١)]... والحق أن كلا من السيد المسيح والنبي يحيى بن زكريا والإمام الحسين (عليهم السلام) قد ربحوا العالم، ذكرا متجدداً خالداً، إذ وهبوا أنفسهم في سبيل مجدها.

ولم يثن الحسين عليه السلام عن غايته وقبل أن يصل إلى موطن شهادته ما كان قد بلغه عن مقتل رسوله الذي سبقه إلى الكوفة، مسلم ابن عقيل، وقد بايعه من أهلها أكثر من اثني عشر ألفاً، ثم نكثوا بيعتهم له بعد أن زاول والي المدينة شتى الأساليب القمعية لتشتيت شمل الملتفين حول مسلم، وبالرجال الموالين لآل بيت النبوة فيها، وقد جابه مسلم بن عقيل عليه السلام قدره ببسالة بعد أن تخلى عنه من كان معه وحوصر وظل يقاتل في الساحة وحده قتال الأبطال حتى استشهد وهو يقاتل

---

(١)(متى ١٦: ٢١-٢٦).

الجموع لوحده وقد احتشدت له من كل الطرقات، وأرسل عبيد الله بن زياد برأسه الشريف بعد إلقائه من فوق قصر الامارة ليزيد بن معاوية، وقد توافر للإمام الحسين عليه السلام قبل ذلك من يبلغه بما آل إليه وضع الناس في الكوفة، فإن الفرزدق قد لقي الحسين عليه السلام في مسيره فقال له: "بين لي خبر الناس"، فقال: "أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء"، وسار الحسين، وهو غير عالم بمقتل مسلم بن عقيل، ولكنه بالتأكيد كان عالماً بالمصير الذي ستؤول إليه رحلته الخطرة، وقد تلقاه على مسافة ثلاثة أميال من القادسية من ينبئه بمقتل موفده مسلم بن عقيل ونصيحته بأن يرجع، فازداد تصميماً على المضي حيث قصد وهو يقول: "لا خير في الحياة بعدكم"، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء ثاني المحرم سنة إحدى وستين للهجرة، ولما شارف الكوفة سمع به أميرها عبيد الله بن زياد فجهز إليه أكثر من ثلاثين ألف مقاتل فلما وصلوا إليه التمسوا إليه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه، وكان أكثر الخارجين لقتاله ممن كاتبوه وبايعوه!!.

ولنمضِ معا مع مؤلف الصواعق المحرقة لينقل لنا ذلك المشهد النادر من الإقدام والجرأة والثقة العالية بالنفس في مسرح المواجهة غير المتكافئة بالمنظور البشري ما يكون فيه حضور الإيمان أقوى وأمضى في

القدرة على المواجهة، وما تكون فيه الحجة أبلغ في توصيل المضمون الرسالي إلى المدى الأرحب في الزمان والمكان، فإن الإمام الحسين عليه السلام سليل النبوة قد واجه بالعدد القليل ممن معه من أهله وأخوته، وخاصة أصحابه، وهم نيف وثمانون ثبتوا في ذلك الموقف الصعب للغاية ثباتاً باهراً مع كثرة أعدائهم ووصول سهامهم ورماحهم إليه، وأنه لولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه فكان كما وصف المحدث: الشجاع القرم الذي لا يذل ولا يزول ولا يتحول، وأنهم لما منعوه وأصحابه من الماء ثلاثاً قال له بعضهم وبكل الحقد والشماتة: انظر إليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، ودعا الحسين عليه السلام بماء ليشربه فحال رجل بينه وبينه بسهم فأصاب حنكه.. واستمر الحر والعطش بأهله وهم ما زالوا يقتلون واحداً بعد واحد حتى قتل منهم ما يزيد على الخمسين.

وفي تلك الواقعة سجلت لمن كان منها حاضراً في الموقف في مبتدأ الشوط وفي أثنائه، ثم من بعده، مآثر ظلت شاخصة شخوص كل ميزة وأثر معتبر في التاريخ الإنساني، فإنه حين اقتربت حشود الأعداء من موطن الحريم صاح الإمام الحسين: "ألا من ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم"، حينئذ خرج "الحر بن يزيد بن حرث الرياحي" من معسكر أعدائه راكباً فرسه وقال: يا ابن رسول الله لئن كنت أول من خرج عليك فإني الآن من حزبك، لعلي أنال بذلك

شفاعة جدك"، ثم قاتل بين يدي الإمام الحسين عليه السلام حتى قتل، وسجل الحر الرياحي بذلك الموقف مأثرة الشهادة ومعها مأثرة الخلود في الذكر والذكرى، فقد خلد ذكره مع شهداء معركة الطف، وأقيم له مرقد ومزار مهيب يؤمه زوار المشهد الحسيني على مدار الأيام والسنين.

ولم يمكّن الإمام الحسين عليه السلام أعداءه من نفسه أن يستسلم أو يساوم فإنه لما فني أصحابه وبقي بمفرده حمل على أعدائه فقتل كثيراً من شجعاهم، وحمل عليه كثيرون حالوا بينه وبين حريمه، فابتدر بنخوة المقاتل الشهم الغيور يصيح بهم: "كفوا سفهاءكم عن الأطفال والنساء" فكفوا، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجراح حتى سقط على الأرض شهيداً.

ثم إنّه بقدر ما يعرف الأشقياء المارقون قدر الأتقياء الأبرار فإنهم لا يتوانون عن ارتكاب الجريمة بحقهم لغايات شريرة ومطامع دنيوية رخيصة، وكمثل ما كان من شأن هيرودس في حفل الرذيلة حين جيء له برأس القديس النبي يحيى بن زكريا ثمناً لغنيمة دنيوية زائلة، فإنه لما وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يدي عبيد الله بن زياد أنشد قاتله متشفياً وطامعاً في استجداء الغنيمة:

إملأ ركابي فضة وذهبا ... فقد قتلت الملك المحجبا
ومن يصلي القبلتين في الصبا ... وخيرهم إذ يذكرون النسبا
قتلت خير الناس أماً وأباً

وقد أغضب ذلك الموقف الدنيء المتشمت ابن زياد وقال: إذا علمت ذلك فلم قتلته؟، والله لا نلت مني خيراً ولألحقنك به ثم ضرب عنقه[١]، فكان هذا مثل جزاء قاتل أولاد مسلم بن عقيل – مبعوث الحسين عليه السلام لأهل الكوفة – فإنهم قد رجوا قاتلهم وقد ظفر بهم في أحدى الأرجاء على بعد من كربلاء أن يذهب بهم إلى عبيد الله بن زياد فأبى إلا أن يقتلهم ويحز رؤوسهم ويذهب بها إليه طمعاً في نوال غنيمة الجريمة، فكان جزاؤه الحرمان منها والتوبيخ.

* * * * *

والمتابع لسير الأحداث التي أعقبت ثورة الإمام الحسين عليه السلام يقف عند الحقيقة المشهودة في أن تلك الثورة قد أنتجت ثورات متتابعة منها "ثورة التوابين" التي تزعمها سليمان بن صرد الخزاعي، وقد قتل سليمان سنة ٦٥هـ في معركة عين الورد التي دارت مع الجيش الذي أرسله مروان بن الحكم، وحمل من بعده راية الثورة المختار بن عبيد الله الثقفي الذي تتبع قتلة الحسين عليه السلام حتى قتل معظمهم وفر البقية، وبلغ الثأر ذروته بمقتل عبيد الله بن زياد على يد إبراهيم بن الأشتر في معركة الخازر على نهر الزاب سنة ٦٧هـ.

ومن غرائب الاتفاق ما يحمل معه الدلالة الاعتبارية في مشهد

---

(١) الصواعق المحرقة، ص١٩٧-١٩٨.

النقمة على القتلة ما ذكر من قول عبد الملك بن عمير: "دخلت قصر الإمارة بالكوفة على ابن زياد والناس عنده سماطان ورأس الحسين عليه السلام على ترس عن يمينه، ثم دخلت على المختار فيه فوجدت رأس ابن زياد وعنده الناس، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فوجدت رأس المختار عنده، ودخلت على عبد الملك بن مروان فيه فوجدت عنده رأس مصعب كذلك، فأخبرته بذلك فقال: لا أراك الله الخامسة ثم أمر بهدمه"، والمثير للانتباه اليوم أن قصر الأمارة والكائن خلف مسجد الكوفة قد ظل أثراً مهجوراً، فيما يقوم إلى جنبه مقام ومزار مهيب لمسلم بن عقيل عليه السلام ابن عم الإمام الحسين عليه السلام، سفيره المقتول في الكوفة، يقابله مقام ومزار معتبر لهاني بن عروة زعيم قبيلة مراد الذي آوى مبعوث الإمام الحسين عليه السلام فاقتص حاكم الكوفة منه.. وفي ذلك كله دلالة من دلائل الاعتبار لخلود مشاهد الشهادة في التاريخ الرسالي.



المرأة في معركة الطف

مأثرات النصرة والفداء

وسجلت المرأة في معركة الطف أدواراً متميزة في مشهد النصرة والفداء كانت من أنصع الصفحات وأكثرها إشراقاً في التاريخ الرسالي، وقد جاوزت المرأة في ذلك طبيعتها المعتادة في الحرص على سلامة أبنائها وأزواجها وتمني دفع الغوائل عنهم إلى الحالة الأسمى في التضحية بدفع الأبناء والأزواج معاً إلى سوح الوغى وحثهم على الصمود والبسالة فيها، وتقبل استشهادهم فيها بالرضا والاطمئنان!

وفي حالة من تلك الحالات النادرة في مشهد التضحية ما كان من أم عمرو بن جنادة الأنصاري فإنه لما قتل أبوه في المعركة دفعته أمه ليقاتل دون الحسين عليه السلام وكان شاباً، وقد أشفق عليه الحسين عليه السلام وقال: "هذا شاب قتل أبوه، ولعل أمه تكره خروجه"، فقال: "إن أمي هي التي أمرتني"، ثم برز وهو يرتجز:

أميري حسين ونعم الأمير ... سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداه ... فهل تعلمون له من نظير

ثم قاتل حتى قتل، فرموا برأسه إلى معسكر الحسين عليه السلام فأخذته أمه ومسحت عنه الدم والتراب وأخذت عموداً وهجمت به على الأعداء، فردها الحسين عليه السلام إلى الخيام[١].

وكانت أم وهب - وهو نصراني التحق بالإمام الحسين عليه السلام وهو في الطريق - قد حثته أمهُ على القتال قائلة له: "قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله"، فاستأذن الحسين عليه السلام وانحدر إلى المعركة فقاتل حتى قتل جماعة ورجع إلى أمه، وقال: "أرضيتِ يا أماه"! فقالت: "لا أرضى حتى تقتل بين يدي أبي عبد الله" فخرج من فوره وقتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، وقطعوا يمينه فصار يقاتل بشماله فقطعوا شماله، فأخذت زوجته عموداً من حديد وانحدرت إلى المعركة تقاتل معه، ولما لم يكن له بد من إرجاعها فانه عض بأسنانه على ثيابها ليرجعها إلى الخيمة فأفلتت نفسها منه وعادت إلى الحرب، فاستغاث بالحسين عليه السلام، فقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي إلى النساء بارك الله فيك فانه ليس عليكن قتال"، ولم يزل بها حتى أرجعها، فوقفت تنظر ما يكون من زوجها حتى قتل، فجاءت وجعلت تخضب شعرها بدمه، وتمسح جبينها بنحره، فأمر الشمر غلاماً يقال له رستم فضربها بعمود من الحديد فصرعت إلى جنب زوجها، وحمل جسد وهب إلى ابن سعد (قائد حملة الأعداء) فجعل ينظر إليه ويقول: "ما أشد

---

(١) قوافل النور، ص٢٤٢.

صولتك" وأمر بقطع رأسه ورمي به إلى معسكر الحسين عليه السلام فأخذته أمه وجعلت تمسح الدم والتراب عنه وتقول: "الحمد لله الذي بيّض وجهي بشهادتك بين يدي أبي عبد الله"، ثم قالت: "الحكم لله يا أمة السوء، إن النصارى في كنائسها، واليهود في بيّعها لخير منكم"، ثم رمت برأس ولدها نحو عسكر ابن سعد. ومن عجيب الاتفاق ما ذكر من أن الرأس قد أصاب صدر قاتل وهب وقتله، ثم إن أم وهب أخذت عمود خيمة وتوجهت إلى المعركة فقتلت نفرين وجاء الحسين عليه السلام فردها إلى الخيمة[1].

ومن مواقف الشهامة والمبدئية العالية للمرأة ما لم يكن لمثله من أولئك الرجال الأوغاد الذين حملتهم مطامعهم وأهوائهم إلى الاستكانة للشر والبغي - ما كان من أمر خولي بن يزيد الأصبحي مع زوجته فإنه عهد إليه برأس الإمام الحسين عليه السلام وقد أتى به إلى منزله ووضعه تحت أجانة، ودخل فراشه ثم قال لامرأته: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدار"!، فغضبت لما أخبرها بذلك وقالت له: "ويحك لقد جاء الناس بالذهب والفضة، وجئتني برأس ابن بنت رسول الله!، والله لا يجتمع رأسي ورأسك في بيت أبداً"، وقامت من فراشه وخرجت من الدار، وقالت: "لا زلت أنظر إلى نور يسطع مثل

---

(١) موسوعة مقتل الإمام الحسين (مقتل الإمام الحسين، محمد الحسين كاشف الغطاء)، ص٤٦٥، ٤٦٦.

العمود من الأجانة وإليها، ورأيت طيوراً بيضاء ترفرف حولها"[1].

وكانت امرأة من آل بكر مع زوجها وقد رأت ان القوم قد احتملوا على نساء الحسين عليه السلام وفسطاطهن وهم يسلبوهن فأخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: "يا آل بكر بن وائل اتسلب بنات رسول الله، لا حكم إلا بالله يا لثارات رسول الله". فردها زوجها إلى رحله.

وعلى خلاف تلك المواقف المبدئية الصادقة والجريئة لأولئك النسوة، ممن كانت لهن أدوار بارزة في البذل والتضحية في موقعة الطف كانت المواقف المتخاذلة والمهينة من بعض الرجال اللاهثين وراء مطامع الدنيا الرخيصة، كمثل هؤلاء الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام من الكوفة أن يقدم إليهم معبرين في رسائلهم عن مبايعته والنصرة له، ثم انحازوا بعد ذلك إلى صف أعدائه منصاعين للإغراء والتهديد معاً، وقد ناداهم الحسين عليه السلام يوم عاشوراء بأسمائهم: "يا شبث بن ربيعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن أشعث، ويا زيد بن الحارث.. ألم تكتبوا إلي أن أقدم قد أينعت الثمار وأخضر الخباب وإنما تقدم على جند لك مجندة!"، فأنكروا ذلك قائلين: "لم نفعل"!.

وكان الخطاب الجليل القدر للسيدة زينب عليها السلام لهؤلاء من أهل الكوفة ولغيرهم ممن خانوا أمانة الولاء والنصرة لآل بيت النبوة وتركوهم طعماً سائغاً للسفاكين، خطاباً تجلت فيه فصاحة الإدلاء عن

---

(١) سيرة الأئمة الأثني عشر، ص٧١.

مشهد الخيانة والغدر ما حرك في النفوس اللواعج، وأذكى في الضمائر حساً دفيناً من الولاء المكبوت، والذي تحرك بعدئذ في أشكال شتى من التعبير عن ندامة فات موعدها لتجد لها صوراً حاضرة من ذلك في حالات من الثأر والانتقام من القتلة وأشياعهم كان أجلاها وأكثرها وضوحاً ما كان من ثورة المختار الثقفي الذي اقتص ممن شاركوا في جريمة الطف، وقد تعقبهم ليثأر منهم، وقد تحققت في بعض مشاهد الثأر من ذلك نبوءة الإمام الحسين عليه السلام ودعاؤه على البعض من قتلته، وما كان من سوء العاقبة لهم ما ورد ذكره في خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة:

"فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا تحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد"، وبمثل ذلك ما جاء في خطبة فاطمة بنت الحسين عليه السلام:

"تباً لكم فانظروا اللعنة والعذاب، فكان قد حل بكم وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا"[(١)].

وكان الحضور مجدداً لمشهد التحدي من فارسة الطف زينب بنت علي عليهما السلام حين تمادى عبيد الله بن زياد في تعسّفه لما رجع من معسكره بالنخيلة فدخل قصر الإمارة ليضع رأس الحسين عليه السلام

(١) موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ص٣٤٨-٣٥١.

الشريف بين يديه ولينكث بالقضيب ثناياه ساعة، وقد انحازت السيدة زينب عليها السلام عن ذلك الموقف وهي متنكرة عن النساء لتوجه خطابها المهين لابن زياد وقد عرفها فقال متشمتاً، وقد أخذته العزة بالإثم: "الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم"!، وزاد ابن زياد من الكيد والشماتة في قوله للسيدة زينب عليها السلام: "كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

فأجابته السيدة زينب عليها السلام جواباً استحضر فيه الشاهد التاريخي مسيرة الإبلاغ الرسالي وعنوانه الأكبر في الشهادة وحضوره في الكل الإيماني الذي لا يتزلزل ولا يتحول:

"ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله لهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ".

وتبلغ الشجاعة بالسيدة زينب عليها السلام في خطابها للقائل المتغطرس وهو في نشوة زهوه بالانتقام لتسمعه كلاماً لا يجرؤ غيرها عليه لتنقص من قدره بنسبته إلى أمه دون أبيه، وبتقريع المستخف بشأنه: "ثكلتك أمك يا ابن مرجانة"، ويغضب ابن زياد من كلام سيدة الطف في ذلك المحتشد وقد همّ بالفتك بها، فكان ثمة من يردعه عن ذلك من خاصته معبراً في ذلك عن موقف سلبي كان ولا يزال البعض من الناس

لا يقدر فيه للمرأة منزلتها، وبأي مستوى تكون ما قد قاله عمرو بن حريص: إنها امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها، ولا تلام على خطأ"!!.

وبمثل تلك الشجاعة التي قابلت بها السيدة زينب عليها السلام الطاغية كان التصريح لعلي بن الحسين عليهما السلام حين نازعت ابن زياد الشماتة بقتل جده الإمام علي بن أبي طالب، وأخيه الأكبر علي (عليهما السلام) فكان رده مسنداً إلى قرار الله وحكمه:

"اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ".

وقد كبر على ابن زياد أن يرد عليه بمثل ذلك فأمر بضرب عنقه، فكانت الوقفة البطولية والشجاعة الفريدة للسيدة زينب عليها السلام قد أنقذته من القتل أنها قد بادرت إلى اعتناقه، قائلة لابن زياد:

"حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا؟، فإن أردت قتله فاقتلني معه" فكف عن ذلك فيما لم يكف علي بن الحسين عليه السلام عن تحدٍّ غريب ومثير لابن زياد وقف عنده ذلك الرجل بكل غطرسته وصلفه صاغراً أمام عظم ذلك المشهد من التحدي في موضع لا يصح فيه مثل ذلك لمن سواه، وفي مثل ذلك الموقف الصعب الذي عبر فيه الإمام زين العابدين عليه السلام عن المنطوق الرسالي في الشهادة كونها حكم الله وقضاءه في تكريم أهل النبوة وحملة الرسالة:

"أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا في الله الشهادة"... وكمثل ما هي الحكمة في الإبقاء على حياة علي بن الحسين عليهما السلام كان في الحكمة أن يخلي ابن زياد سبيل المختار بن أبي عبيد الثقفي وقد كان محبوساً عنده من يوم قتل مسلم بن عقيل عليه السلام وقد جرى بينه وبين ابن زياد كلام أغضبه فأرجعه إلى الحبس ليكون في إرجاء قتله ما قد تحقق به الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، بعد ذلك، وقد صدقت نبوءة عبد الله بن الحارث فيه وكان معه في السجن في قوله له: "والله لا يقتلك ولا يقتلني ولا يأتي عليك إلا القليل حتى تلي البصرة"، وكان الشهيد ميثم التمار يسمع كلامهما فقال للمختار: "وأنت تخرج ثائراً كما قالا"، وصح أن عبد الله بن الحارث قد خرج بالبصرة بعد هلاك يزيد وأمره أهل البصرة وبقي على هذه سنة، وخرج المختار طالباً بدم الحسين عليه السلام فقتل ابن زياد، وحرملة بن كاهل، وشمر بن أبي الجوشن، إلى العدد الكثير من أهل الكوفة الخارجين على الحسين عليه السلام[1]..، وهي هذه كمثل نبوءات الأحداث في التاريخ الرسالي، كان من بينها ما قد حصل من نبوءات النبي أشعيا وغيره مما ذكر في الكتاب المقدس مما أوردنا ذكره في مبحثنا عن رموز التضحية والفداء في الأديان.

---

(١) موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ص٣٦٧-٣٦٨ نقلاً عن تاريخ الطبري، ج٧، ص١٤٧.

ويكون الموقف الأكثر جرأة وإقداماً للمرأة في غمار الفاجعة ما قد حصل في حضور الرأس الشريف للأمام الحسين عليه السلام عند يزيد ابن معاوية وقد وضعه أمامه في طست من ذهب وكانت السبايا من النساء خلفه، وقد أذن للنساء أن يدخلوا في وقت أخذ فيه القضيب لينكث به ثغر الحسين عليه السلام ويقول متشفياً بنعرة من نعرات الجاهلية وقد سمعته السيدة زينب وهو يتمثل في ذلك بقول ابن الزبعرى:

ليت اشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا طربا ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

فانتفضت السيدة زينب عليها السلام في مجلسه مشيرة إلى وجه المأساة الدامية وفظائع الفتك التي جرت عليهم في الطف مخاطبة يزيد بذات اللهجة المتحدية ما كانت قد خاطبت بها واليه عبيد الله بن زياد، وبالنبرة القوية المفعمة بروح التحدي لكبريائه وغطرسته، وبالعبارة المهينة "يا ابن الطلقاء"، وهي كناية عمن دخل في الإسلام كرها، مزدرية فيه هتافه بأشياخه في الجاهلية، داعية عليه بالويل والثبور:

"اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا".

ثم خاطبته بما لم يجرؤ أحد غيرها عليه، وبتلك اللهجة المتحدية لكيده، والمقللة من شأنه مذكرة إياه بما يكون من مصير الطغاة:

"فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين".

وتبلغ السيدة زينب في شجاعتها إلى الغاية في استصغار شأن يزيد والاستهانة بتقريعه وتوبيخه، ومن ثم إنذاره بسخط الله ورسوله وملائكته عليه، جراء ما اجترح من الجناية بحقهم ما لم يبلغنا عن امرأة أنها قد نطقت أمام حاكم جائر مستبد بمثل ما قد نطقت به تلك المرأة المفجوعة بأهلها وذويها وبعبارات ملؤها التحدي وكبرياء الموقف، وفي تحذير صريح بالمصير المحتوم للظالمين:

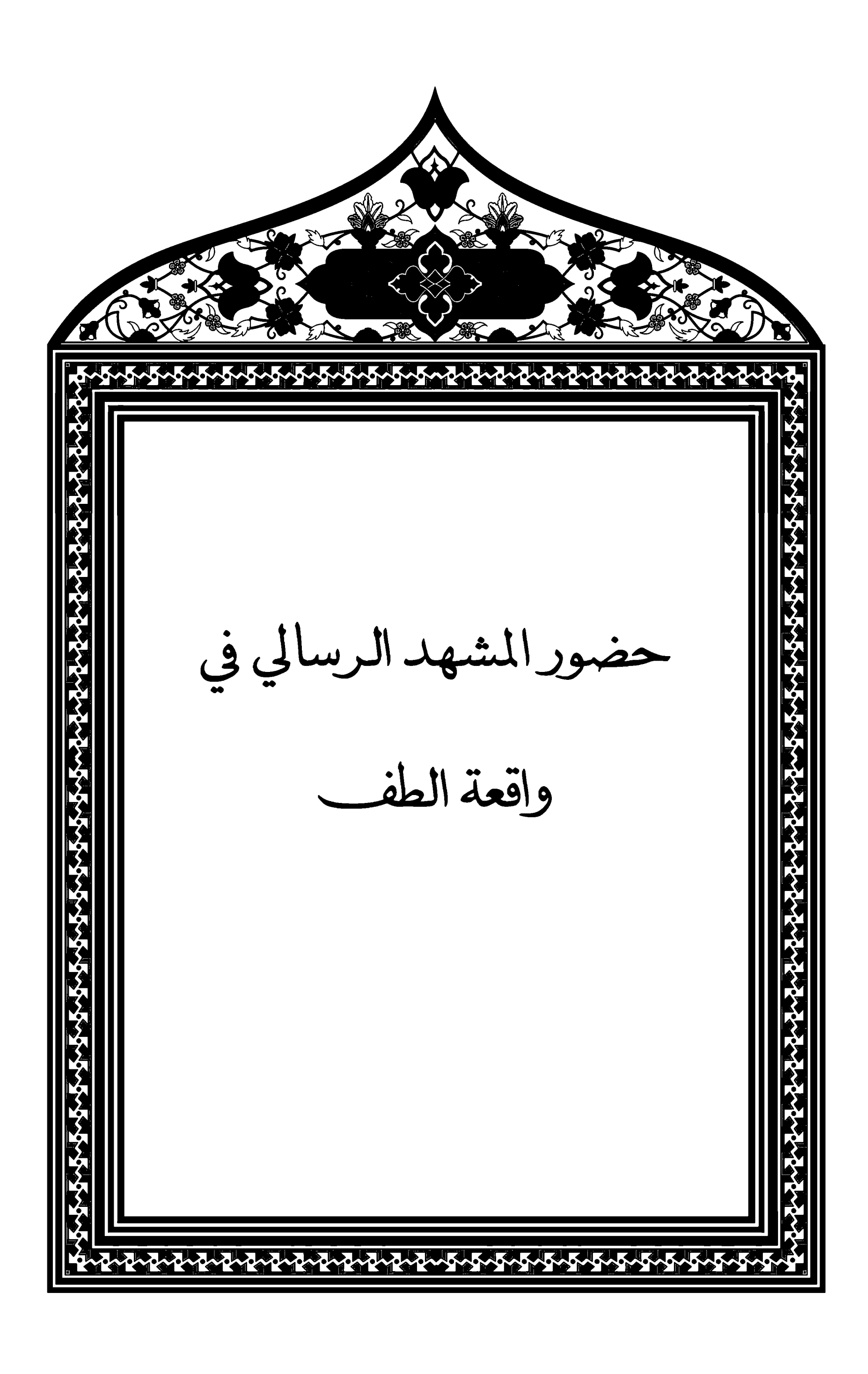
"ولئن جرت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى".

"ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنّ وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وما ربك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعول".

وقد أحدثت خطبة السيدة زينب عليها السلام تلك دوياً واسع

المدى في أرجاء دمشق، تلافاها الحاكم الأموي بمحاولة إلقاء تبعة الجريمة التي ارتكبت في الطف على عاتق واليه ابن زياد، وعمل على إخراج الإمام السجاد عليه السلام والعيال عن الشام إلى موطنهم وتمكينهم مما يريدون، وقد أمر النعمان بن بشير وجماعة معه بأن يسيروا معهم إلى موطنهم في المدينة، وقد بادر زين العابدين عليه السلام لما عرف الموافقة من يزيد إلى طلب رؤوس الشهداء كلها ليمضي بها إلى كربلاء ليلحقها بالأبدان وقد استقبلت موكب الشهادة في كربلاء جماعة من بني هاشم ورجال من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وقد أقاموا النواح على الحسين عليه السلام ثلاثة أيام.

وهكذا كانت المرأة في الطفّ، المقاتلة الشهيدة، والمضحية بأولادها وزواجها، والصامدة، الصابرة حيال فجائعها، مثالاً حياً وشاخصاً في التضحية والفداء ما تستحق به خلود مآثرها في تلك الصفحات المجيدة من سفر الطف الخالد، ما يلزم أن تقام له النصب، وعلائم الاحتفاء بذكريات ومشاهد تضحياتها كمثل ما هو الاحتفاء الدائم والمتجدد لمواقف الرجال الأفذاذ فيها، انها درر الشهادة ولآلئ المجد الرسالي الذي حققته بالعزم والعزيمة والتضحيات الجسام وعلى القدر المتكافئ أو المتفاوت في التضحية والبذل وعلى السبيل الواحد رجال الطف ونساؤها.



حضور المشهد الرسالي في واقعة الطف

والملاحظ في مجرى التاريخ الرسالي أن شواخص الأنباء الرسالي، كمثل ما هو التوافق في الأحداث الرسالية يشكل علامة من علامات الوثوق والمصداقية لإنباءات الرسالات الدينية، وقد كانت النبوءات الصادقة عن سير الأحداث في التاريخ الرسالي قد عبرت وفي حقب متفاوتة من ذلك عن تلك الحقيقة كمثل ما كان من نبوءات أشعيا وأرميا - من أنبياء بني إسرائيل - فيما ان يوحنا (النبي يحيى بن زكريا) هو الذي عناه النبي أشعيا من قبل في نبوءته عنه كمثل نبوءته عن السيد المسيح :

"هيئوا طريق الرب.. واجعلوا سبله مستقيمة" (متى ٣ : ١ -٣).

وقد كان أرميا قد تنبأ بسقوط أورشليم وتدمير هيكل سليمان وقد أرعب ذلك قومه فأخذ إلى مصر ورجم هناك بالحجارة لتنبؤاته الكئيبة، وأن أرميا كما ذكر في كتاب (أهل البيت في الكتاب المقدس) قد ورد عنه

أخباره عن ملحمة الطف، مما نقل من الأصل العبري من العهد القديم وفيها تعظيم لفداحة ما يحدث في شمالي نهر الفرات (تسافونا على يد نهر فرات)، والتأكيد على أن الخراب والسيوف ستشع وترتوي من الدماء التي ستسيل في ساحة المعركة، كذلك أخبار "يوحنا" عن مذبحة كربلاء مما ورد من التحليل اللغوي للنص العبري الخاص بذلك والمستقى من المعجم الحديث (عبري – عربي) للدكتور ربحي كمال. وفيه ما يذكر عن أنباء السيد المسيح عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام - وهي شهادة صادقة صدق ما أنبأ عن حوادث الزمان التي تحققت بعده: أن عيسى بن مريم مر بأرض كربلاء فراى ظباءً ترعى هناك فكلمته بأنها ترعى هنا شوقا إلى تربة الفرخ المبارك فرخ الرسول أحمد وانها آمنة في هذه الأرض، ثم اخذ المسيح من أبعارها وشمه وقال: اللهم أبقه حتى يشمها أبوه فتكون له عزاءً وسلوة، فبقيت الابعار إلى مجيء الإمام علي بكربلاء وقد اصفرت لطول المدة فأخذها وشمها ثم دفعها إلى ابن عباس وقال: احتفظ بها فإذا رأيتها تفور دما فاعلم ان الحسين عليه السلام قد قتل، وفي يوم عاشوراء بعد الظهر رآها تفور دما.[1]

وقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن مأساة حفيده الإمام الحسين عليه السلام منوها في ذلك بمأساة النبي يحيى بن زكريا عليه السلام وصلتها مع مأساة الإمام الحسين عليه السلام ومكانتها عند الله

(١) أهل البيت في الكتاب المقدس، ص٩٧-٩٨.

وما يكون لها من الوقع المؤلم والأثر في سير الأحداث بعدها في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

"قال جبريل: قال الله تعالى: إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً واني قاتل بدم الحسين بن علي عليهما السلام سبعين ألفاً"[١].

وأنه عدا تلك النبوءات التي توافر عليها الذكر النبوي لواقعة الطف فقد شهدت هذه الواقعة حضور الموقف الرسالي فيها مجسداً بما كان من مواقف أهل الإيمان في سائر الأديان، ومن ذلك ما كان من التحاق (وهب بن عبد الله الكلبي) الرجل المسيحي بركب الشهادة في موقعة الطف ما مر ذكره.

وبعد مقتل الإمام الحسين، وإذ رفعت رؤوس أعلام الشهادة في واقعة الطف على الرماح يتقدمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام، كان المشهد الآخر للموقف الرسالي، ما كان من ذلك الراهب في صومعته، فإنه وقد نصب رأس الإمام الحسين عليه السلام على رمح إلى جنب صومعته، فإنه وفي أثناء الليل - كما ذكر - سمع تسبيحاً وتهليلاً ورأى نوراً ساطعاً من الرأس المطهر، وسمع قائلاً يقول: "السلام عليك يا أبا عبد الله.." فتعجب حيث لم يعرف الحال، وعند الصباح استخبر من القوم فقالوا له إنه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأمه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لهم: تباً

---

(١) الصواعق المحرقة، ص٢٠٠.

لكم أيها الجماعة، صدقت الأخبار في قولها إذا قتل تمطر السماء دماً، وأراد منهم أن يقبل الرأس فلم يجيبوه إلا بعد أن دفع إليهم دراهم، ثم أظهر الشهادتين وأسلم ببركة المذبوح دون الدعوة الإلهية[1]، و هذا هو عنوان إسلام المؤمنين كلهم بالله، ورسله، وكتبه، ومواثيقه، ومنها ميثاق الشهادة.

وفي مجلس الطاغية يزيد مُثِّلَ رأس الشهيد الإمام الحسين عليه السلام، كمثل ما مُثِّلَ رأس الشهيد النبي يحيى بن زكريا عند الطاغية، وفي ذات الموقع من مشهد الشهادة ذكر أنه كانت لرسول قيصر — الرجل المسيحي المنصف — وهو حاضر آنذاك، وقفته المستنكرة لذلك المشهد الفظيع والخارج عن قيم الأديان، مما بدر من يزيد في ضربه بعصاه للرأس الشريف، فإن هذا الرجل قد ذكر لهم مشهدا من مشاهد التقدير عند أهل دينه لكل ما يؤول إلى النبوة ويمت إليها بصلة:

"إن عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى ونحن نحج إليه في كل عام من الأقطار ونهدي إليه النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنكم على باطل"(٢٣).

..ويظل هكذا النفس المسيحي في الشهادة توأم النفس الإسلامي فيها، إن معاناة السيد المسيح ومكابدته مع الطغاة هي نفسها معاناة

---

(١) موسوعة مقتل الإمام الحسين (نهضة الحسين)، ص٤٦٥-٤٦٦.

ومكابدة الإمام الحسين، وشهادته هي كمثل شهادته، وقد ارتقى القديسان المبجّلان كلاهما على خشبة الشهادة ورؤوسهما تعلو إلى السماء منتصبة على سواري المجد والخلود، وما زلنا كل عام نستمع إلى الأقباط المسيحيين في بلدنا وهم يعبرون في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عن صدق مشاعرهم وولائهم لمشهد الشهادة، وهو عنوان الولاء للشهداء الرساليين في كل دين، وقد كانت الإشارة في الذكر القرآني لمودة المسيحيين (النصارى) لإخوانهم من مؤمني الإسلام، ما يكون من صدق إيمان القسيسين والرهبان ومعرفتهم للحق في كل رسالة من رسالات الله:

"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ" (المائدة: ٨١-٨٤).

وكمثل ذلك ما نرى من موقف الصابئة وهم يجدون في شهادة الإمام الحسين عليه السلام حضور الشهادة لنبيهم الشهيد يحيى بن زكريا

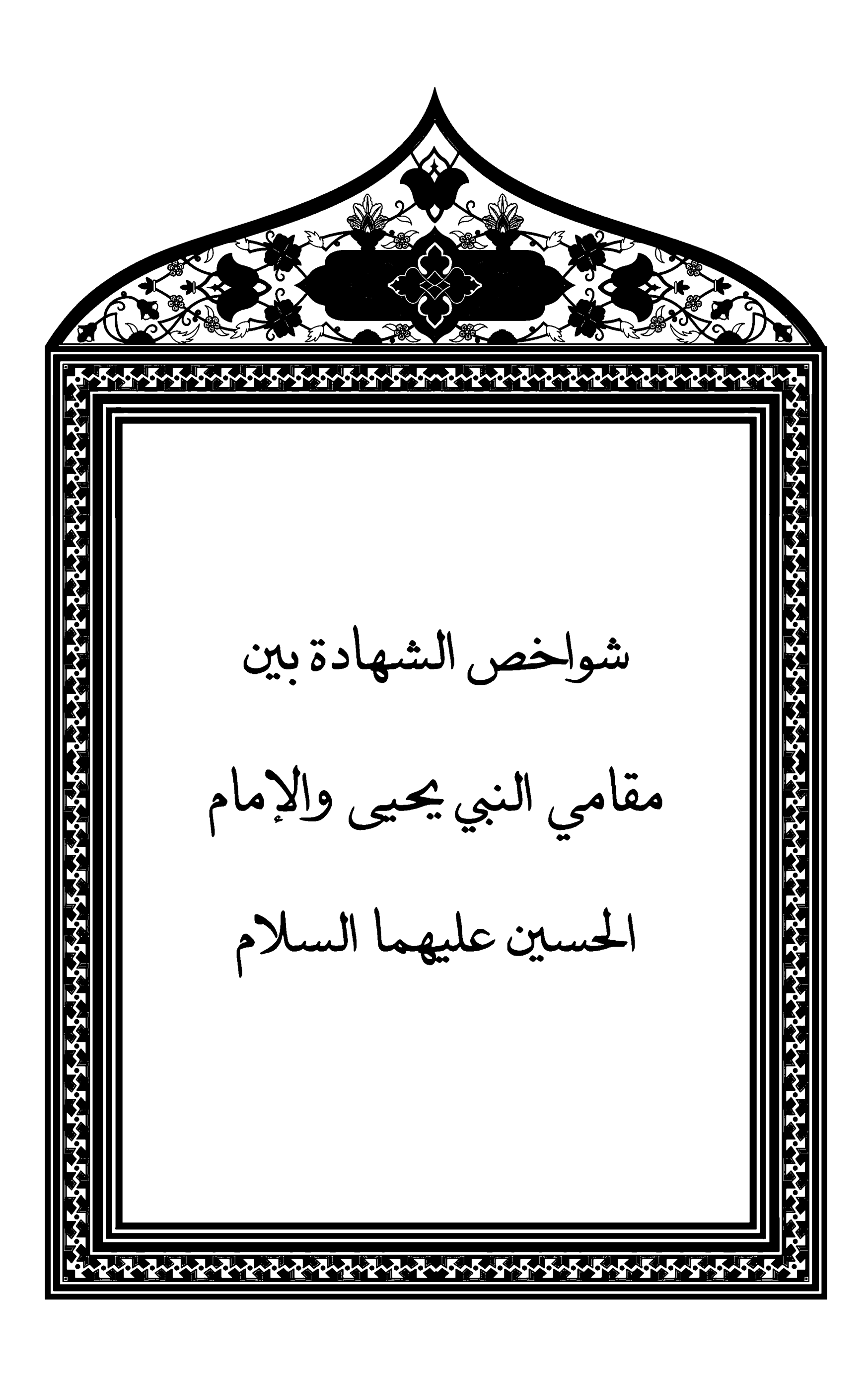
عليه السلام، وأنهم في موطنهم في جنوب العراق ووسطه قد عاشوا جنباً إلى جنب مع الموالين لأهل بيت النبوة، واندمجوا معهم حتى في أسمائهم، وقد تغنى الشاعر الصابئي المعروف عبد الرزاق عبد الواحد بملحمة الإمام الحسين عليه السلام في قصيدة رائعة تعبر عن كامل المعرفة والتقدير لمشهد الشهادة الحسينية في الطف:

فمذ كنت طفلا رأيت الحسين ... منـاراً إلى ضـوئه أهتـدي

ومذ كنت طفلاً وجدت الحسين ... مـلاذاً بـأنواره أحتمـي

سلام عليك فأنت السلام ... وإن كنت مختضباً بالدم

وإنك معتصم الخائفين ... يا من من الذبح لم يعصم



شواخص الشهادة بين مقامي النبي يحيى والإمام الحسين عليهما السلام

عظة التاريخ، وموعظة الدين

وفي الرقعة المحدودة والمتصلة من الأرض التي شهدت ولادة وانبعاث الرسالات الدينية السماوية ومعها انبعاث الحضارات الأولى للإنسان — تمثل المشهد الروحي الإنساني وتضحياته، ومعها ولادة الضمير الروحي الذي استقر شاخصاً في مشاهد حية وعلى امتداد الأرض من بلدان الشام، وما جاورها من أرض الرافدين وحاذاها من أرض مصر، وما امتد إليها إلى أرض الجزيرة العربية، روافد متصلة للمجد الحضاري والروحي ارتسمت فيها صورة الخلود للمواقف الروحية والإنسانية المثلى، وقد انتصبت فوق مرتقياتها وسهولها مقامات المجد الروحي، فعلى المرتقى من أرض سوريا يشمخ مقام "قابيل" ولد آدم الذي سجل مأثرة الوداعة والحلم مقابل بغي وعدوان أخيه هابيل، فكان له نصيب من الذكر في مزار معتبر يؤمه الناس على مدى السنين الطويلة من حادثة النزاع بينهما، نزاع بين الخير والشر، وعلى مدى آخر من تفاوت الزمن انتصب مشهد الرحلة الطويلة لأبي الأنبياء الموحدين إبراهيم الخليل في أكثر من موقع من بلاد الشام، وبلاد الرافدين، وأرض

مصر، وارتقت في أرض الجزيرة العربية مأثرته الروحية في مشهد بيت الله الحرام وكعبته المشرفة في مكة المكرمة، وارتقت مشاهد النبوة وأولياء النبوة شواخص للذكر، وعلى مرتقيات الأرض وسهولها فانتصبت المساجد والكنائس والمعابد إلى جانب مقامات الأنبياء والأولياء تتعانق بها ألوية الإيمان بين الرسالات الدينية، ويكون الوفود على مقامات الشهادة منها وفوداً أكثر حرارة يحمل فيه المؤمنون — كما هو الحال في المقامين المتقابلين في الجامع الأموي بدمشق لمرقد النبي يحيى بن زكريا ومقام رأس الإمام الحسين (عليهما السلام) مشاعر مشتركة من المهابة والتقديس هي علامة دالة لمشتركات الإمان الذي يجمع ما بين الأديان ورموزها من الشهداء والمجاهدين من أجل شرائعها، وحيث ظلت الشريعة ومعها الشهادة هي الأكثر إضاءة في تاريخ الإيمان الديني، وفي ذلك صح قول "أشعيا" :

"اسألوا الشريعة والشهادة، من لم ينطق بهذا الكلام فلا يضيء له الصبح" (أشعيا ٨ : ٢١).

ويجد القاصد لدمشق ما بين شمالها وجنوبها شواخص تلك الشهادة التي امتدت ذكراها على طوال الأزمان، لتقام تلك المنائر والقباب المهيبة، كمثل ما يكون في ريف دمشق من المقام المهيب لمرقد السيدة زينب عليها السلام أخت الإمام الحسين عليه السلام، والتي حضرت

مسرح الشهادة في واقعة الطف بكربلاء وتجرعت محنها وآلامها، وسارت في موكب الشهادة مع الرؤوس المنتصبة على الرماح في رحلة طويلة وشاقة ما بين كربلاء في العراق إلى دمشق في بلاد الشام، وتجرعت محنة الإقامة في الخربة إلى جوار قصر الحاكم الجائر، والتي تحولت بعدئذ إلى مقام مهيب لطفلة الإمام الحسين عليه السلام "رقية" والتي فارقت الحياة فيها وهي تعانق رأس والدها، وقد كان للسيدة زينب عليها السلام ذلك الموقف الجريء أمام الحاكم الجائر وخطبتها المثيرة في مجلسه.. وقد اندرست قصور أولئك الحكام الطغاة ولم يبق لهم من الذكر ما يستحق بإزاء ذلك الذكر والمقام المشهود لآل بيت النبوة ولأولياء النبوة في معاقل أولئك الحكام، وفيما انتصبت وعلى مسافة من الأرض ما بين جنبات دمشق منارات وقباب شامخة تزدان على مدار الأيام والسنين بعدد لا يحصى من الزائرين، والمتبركين بهم، والمستذكرين للمواقف الجهادية لسليلتي النبوة، وكمثل ذلك ما يكون من المشهد المعتبر لمقام النبي الشهيد يحيى بن زكريا والذي يقابل مقام الرأس للشهيد الإمام الحسين، والناس على مدار الأيام والسنين تقصدهم للزيارة والتبرك بهم، مقامات مهيبة لها في نفوس الملايين من الناس على مدى الأحقاب كل هذا الاعتبار والتقديس، هو ذلك الاعتبار والتقديس لشهادة الأنبياء والأولياء، والتي كانت العلامة التي رسمت على وجه الأرض، وفي نفوس البشر دلالة الثبات على المنهج الرسالي القويم، والتضحية من أجل أن تظل كلمة الله

هي العليا، وإرادته هي الغالبة، وذكره الذي أبلغه برسالاته هو المحفوظ:

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر٩).

ويوثق شاعر العربية محمد مهدي الجواهري في قصيدته عن الإمام الحسين عليه السلام لما آمن به أحرار النفوس المدركون بعقولهم مآثر الشهادة وصروحها سر الخلود الرسالي للشهادة، خلود الحقيقة في خلود الشهادة في مأثراها وصروحها الخالدة:

وحار بي الشك فيما مع الـ	ـجدود الى الشك فيما معي
الى ان أقمت عليه الدليـ	ـل وأعطاك إذعانه المهطع
فنوّرت ما أظلمّ من فكرتي	وقوّمت ما اعوجّ من اضلعي
وآمنت ايمان من لا يرى	سوى العقل في الشك من مرجع
بأن الإباء ووحي السماء	وفيض النبوة من منبع

تنزّه عن للهعرضلله المطمع



النبي أيوب والإمام الحسين

عليهما السلام بين الخبر

المفجع وواقعة الفجيعة

وبينما يشهد التاريخ الإنساني عامةً، والتاريخ الرسالي منه خاصةً حالات من العزم والعزيمة، والصبر على المكاره والأعباء، ما كان للأنبياء والأولياء منه الحصة وعلى القدر المتفاوت ما جئنا على ذكر شواهد منه في مبحثنا عن رموز الشهادة والفداء في الأديان - فإن في مشهد الصبر على الفجيعة ما كان للنبي أيوب والإمام الحسين - عليهما السلام- يشكل جانباً مما يصح التمثل والاعتداد به، مع الفارق بين عوامل وآثار الفجيعة لكليهما.

وان المقابلة الموضوعية بين مشهد المعاناة والمكابدة للنبي أيوب، والإمام الحسين - عليهما السلام - في أبعادها وتبعاتها ترسم صورة للمقارنة الموضوعية بين حالتين متقابلتين في مجال الصبر، ومتفاوتتين في الطبيعة والنتائج المترتبة عليهما، كمثل تفاوتهما في مشهد الذكر والاحتفاء بهما على مر الأحقاب.

فبالنسبة للنبي أيوب - عليه السلام- يروي (سفر أيوب) من العهد القديم في الكتاب المقدس عنه: انه كان رجلاً مستقيماً يتقي الله ويجانب الشر، وولد له سبعة بنين وثلاث بنات، وكانت قنيته سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف من الإبل وخمس مئة فدان بقر وخمس مئة أتان، وله عبيد كثيرون جدا، وكان بنوه يذهبون فيصنعون مأدبة في بيت كل منهم ويبعثون فيدعون أخواهم الثلاث ليأكلن ويشربن معهم، فإذا ما تم مدار أيام المأدبة كان أيوب يبعث فيقدسهم ثم يبكر في الغداة فيصعد محرقات[1] على عدد جميعهم لان أيوب كان يقول لعل بنيَّ خطئوا وجدفوا على الله في قلوبهم، وهكذا كان يصنع كل الأيام (أيوب١ : ١ -٦).

وأراد الرب ان يختبر تقوى أيوب بعد أن أملى الشيطان باله لأيوب فكانت له من فتنته في البلاء: انه اتفق يوما ان بنيه وبناته كانوا يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر فأقبل رسول إلى أيوب وقال له: كانت البقر والأتن ترعى في جانبها فوقع عليها أهل سبأ وأخذوها وقتلوا الغلمان بحد السيف وأفلّتُّ أنا لأخبرك، وفيما هو يتكلم أقبل آخر وقال قد سقطت نار الله في السماء وأحرقت الغنم والغلمان وأكلتهم..، وفيما هو يتكلم أقبل آخر وقال قد افترق الكلدانيون ثلاث

---

(١) المحرقة: جمع محرقات، وهي الذبيحة التي تحرق وتفنى تعبداً لله واعترافا بمطلق سلطته. (المورد: ص١٢٨).

فرق وهجموا على الإبل فأخذوها وقتلوا الغلمان بحد السيف..، وفيما هو يتكلم أقبل آخر وقال: كان بنوك وبناتك يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر، فإذا بريح شديدة قد طلعت من عرض الصحراء وصدمت زوايا البيت الأربع فسقط على الغلمان فماتوا وأقبلت أنا وحدي لأخبرك، فقام أيوب وشق رداءه وحز شعر رأسه وخر على الأرض وسجد وقال: عرياناً خرجت من جوف أمي وعريانا إلى هناك، الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الله مباركاً..، وفي هذا كله لم يخطأ أيوب ولم يقل في الله جهلاً" (أيوب ١ : ١ ـ٢٣).

ومرة أخرى أقبل الشيطان لأيوب وقد أصبح جلداً بجلد..، وليصبهُ بقرح خبيث من باطن قدمه إلى قمته، فأخذ له خرقة ليحتك بها وهو جالس على الرماد، فقالت له امرأته: "أإلى الآن أنت معتصم بسلامتك جدّف على الله ومت"، فقال لها: إنما كلامك كلام إحدى السفيهات، أنقبل الخير من الله ولا نقبل منه الشر" وفي هذا كله لم يخطأ أيوب بشفتيه (١ : ٢ ـ١٢).

.. وتستبد بعدئذ بأيوب الظلمات وظلال الموت وليقر عليه غمام، ولتروعه كواسف النهار، وليشمله في الليل الديجور (٤ : ٣ـ٤)، وذات يوم سمع ثلاثة من أخلاّئه ما أصابه من البلوى فأقبل كلاً من مكانه ليرقوا له ويعزوه، فرفعوا أبصارهم من بعيد فلم يعرفوه، فرفعوا

أصواقم وبكوا وشق كل واحد منهم رداءه وذروا تراباً في ارؤوسهم نحو السماء، وجلسوا معه إلى الأرض سبعة أيام وسبع ليالٍ ولم يكلمه أحد بكلمة؛ لأهم رأوا ان كآبته كانت شديدة جداً" (٢ : ١٢ـ١٣).

وكانت العاقبة بالحسنى لأيوب بعدئذ فقد رد من جلائه حين صلى لأجل أخلاّئه وزاده الله ضعف ما كان له قبلاً، وزاره جميع أخوته وأخواته وكلُ من كان يعرفه من قبل وأكلوا معه خبزاً في بيته، ورثوا له وعزوه عن كل البلوى.. وأهدى له كل واحد منهم نعجة وخرصاً من ذهب، وبارك الرب آخرة أيوب، فأكثر من أولاده، وكان له من الغنم أربعة عشر ألفاً، ومن الإبل ستة آلاف وألف فدان من البقر وألف من الأتان.. وعاش بعد هذا مئة وأربعين سنة، ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال، ثم مات شيخا قد شبع من الأيام" (أيوب ٤٢ : ١١ـ١٦).

وهكذا كانت معاناة أيوب اختباراً لصبره على البلوى بما وردته من أخبارها وقد تقبلها بالرضا والاطمئنان، والثقة بالله لتسجل له مأثرة الصبر اعتبارا وعبرة للناس في كل زمان، وفيما كانت له حصة وافرة من الجزاء المعجل في دنياه، فيما ان الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ لم ينبأ بواقعات البلاء بل استقبلها مفردات مريرة وشاقة في وقائع مأساوية تمثلت في واقع الطف فصولاً متتابعة من العناء والمكابدة المصحوبة بنزيف الدم، وقد قصد ساحة المواجهة بكل مخاطرها لتكون له ولأسرته

ولخاصة صحابته منها تلك الحصة البالغة من التنكيل والبطش والذي تلاحقت فصوله الدموية في واقعة الطف وما بعدها، وفيما لم يشهد التاريخ مثل تلك الحالة النادرة في وفود الحسين – عليه السلام– على ساحة الهلاك المحقق مع أهله، وقد واتته فرصة الخلاص ليستكين الى دعة الحياة ونعيمها لو راودته نفسه الرضوخ لمطالب الحياة الدنيا، ولو كان الحسين – عليه السلام– قد فعل ذلك لحكم على نفسه بغير هذا الحكم الذي ارتضاه له التاريخ ان يسجل اسمه وذكريات الواقعة التي انتصب بشموخ فيها، ولا ان يكون له مثل هذا المشهد الأثير من الذكر والاحتفاء بدوره البطولي في الطف، وفيما لم يكن له من حياته التالية على الأرض جزاؤه المعجل كما كان للنبي أيوب – عليه السلام– في خاتمة حياته مما ورد ذكره، ولم يصح ذلك في أهل بيت النبوة من سلالة الإمام الحسين – عليهم السلام– والذين لقوا من بعده حصة مؤجلة من الكيد والتنكيل حتى انه لم يسلم أحد من ذريته من الكيد والملاحقة، ثم القتل أو دسّ السم له، وعوضاً عن تلك المحنة الجارية في حياتهم فإنهم كوفئوا بالقدر الكبير من شخوص الذكرى، والاحتفاء المتجدد بسيرهم ومواقفهم، وحيث تقام احتفالية الشهادة لواقعة الطف في موقعها، كمثل ما يقام ذلك لكل الشهداء من آل بيت النبوة، حصة مؤجلة ودائمة من التكريم لمشهد الشهادة، ولمأثرة الصبر في ساحتها، وبكل مظاهر الاحتفاء ومعالمه، حالة ارتقى فيها مشهد الذكر للإمام الحسين عليه السلام وسلالته في

معالم وصور لم يبلغها مشهد من الذكر الا في الاستشهاد، عظة واعتباراً بالشهادة وبالصبر معاً، وفيما لم تقم لمشهد الصبر لأيوب ومحنته فيها مثل هذه الاحتفالية المتكررة في كل عام لشهادة الإمام الحسين - عليه السلام - ومثل هذا التكريم والاحتفاء بمقامه هي من بعض مشاهد الذكر لتضحيات الأنبياء، وموارد الذكر لشهادة الأولياء.. وهي في كلها العنوان لما في الشهادة من مكانة لا تدانيها مكانة في الوجود، شهادة من تعمد بالدم، أو تعمد بالولاء لله تعالى، والتضحية من اجل الله الذي ارتبط بمجده وخلوده مجد وخلود من آثر الصلة والتواصل بالله.



السيد المسيح والإمام الحسين

عليهما السلام الرؤوس

المنتصبة على سواري

الشهادة وقضية الخلاص

لم تنتصب رؤوس على سوار الشهادة وبمثل معاناة ومكابدة شخوصها كمثل ما انتصب الرأسان الشريفان للسيد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام. كما لم يمتثل رجال لقدرهما بالرضا والاطمئنان وبمثل تلك الأنفة والاعتداد بالنفس كمثلهما، وقد كانت سيرتهما في الشهادة هي المثال الأرقى في سفر الشهادة في التاريخ الرسالي، ويورد العهد الجديد من الكتاب المقدس عن مأساة الشهادة للسيد المسيح: ان جنود الحاكم اخذوا يسوع الى مقره، وجمعوا الكتيبة كلها، فنزعوا عنه ثيابه وألبسوه ثوبا قرمزيا وضفروا له إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه، ووضعوا في يمينه قصبة، ثم ركعوا أمامه واستهزؤوا به فقالوا: "السلام عليك يا ملك اليهود"!، وأمسكوا القصبة وأخذوا يضربونه بها على رأسه وهم يبصقون عليه، وبعدما استهزؤوا به نزعوا عنه الثوب القرمزي، وألبسوه ثيابه، وساقوه ليصلب، وبينما هم خارجون من المدينة صادفوا رجلا من قيرين اسمه سمعان، فسخروه ليحمل صليب يسوع. ولما وصلوا إلى المكان الذي يقال له الجلجلة- أي موضع

الجمجمة- أعطوه خمرا ممزوجة بالمر، فلما ذاقها رفض ان يشربها، فصلبوه واقترعوا على ثيابه واقتسموها، وجلسوا هناك يحرسونه، ووضعوا فوق رأسه لافتة مكتوب عليها سبب الحكم عليه: "هذا يسوع ملك اليهود"، وصلبوا معه لصين، واحد عن يمينه وواحد عن شماله وكان المارة يهزون رؤوسهم ويشتمونه ويقولون: "يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، ان كنت ابن الله، فخلص نفسك وانزل عن الصليب"!، وكان رؤساء الكهنة ومعلمو الشريعة والشيوخ يستهزئون به ويقولون: "خلّص غيره، ولا يقدر ان يخلص نفسه، هو ملك إسرائيل، فلينزل الآن عن الصليب لتؤمن به، توكل على الله"!.. وعيره اللصان المصلوبان معه أيضاً، فقالا مثل هذا الكلام..." (متى ٢٧ : ٢٧ـ ٤٤).

وكل ذنب السيد المسيح، والذي استحق عليه كل ذلك العنت والكيد انه كان قد قاوم التمسك الأعمى للمتزمتين في الوسط اليهودي من الفريسيين ومعلمي الشريعة وشيوخ المدينة بتقاليد لا تمت إلى الشريعة بصلة، وسلوكهم النفعي في ذلك وقد تواصل تعنيفه لهم في ذلك منذرا إياهم بالويل:

"وانتم تهملون وصية الله وتمسكون بتقاليد الشريعة..."

"وما أبرعكم في نقض شريعة الله لتحافظوا على تقاليدكم" (مرقس ٧ : ٨ـ٤).

"الويل لكم يا معلمي الشريعة والفريسين المراءون، تأكلون بيوت الأرامل وانتم تظهرون أنكم تطيلون الصلاة..".

"الويل لكم تعطون العشر من النعنع والصعتر والكمون، ولكنكم تهملون أهم ما في الشريعة، العدل والرحمة والصدق...".

"الويل.... والويل لكم..." (متى ٢٣ : ١ – ٦٣).

وكمثل ذلك كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام على الخارجين على منهج الشريعة والمتسلطين على رقاب الناس باسمها، ويذكر المؤرخ ابن خلدون– الذي عرف عنه تحرجه من الطعن بأي حاكم من حكّام المسلمين– عن يزيد بن معاوية، والذي امتنع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعته– انه: "قد ظهر الفسق أيام خلافته واختلف الصحابة حينئذ بشأنه، فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين – عليه السلام – وعبد الله بن الزبير ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به، ولأن شوكة يزيد يومئذ هي عصابة بني أمية وجمهور أهل الحل والعقد من قريش، وتستتبع عصبة مضر أجمع"[١].

وهكذا فإن الإمام الحسين عليه السلام قد آثر المرتقى الصعب في

(١) المقدمة، ص٢٠٧.

مبدأ أسمى في الوقوف ضد الجور والاستبداد والانحراف عن منهج الشريعة، وفي مواجهة عسيرة وشاقة وغير متكافئة، وقد أضيف إلى مشهد الفجيعة في الطف ما لم يكن من مثل مشهدها في فجيعة السيد المسيح عليه السلام، ان الإمام الحسين عليه السلام قد شهد مقتل أولاده واخوته، ونفر من بني عمومته وخاصة صحابته، ووقف بنفسه على مشهد الترويع لهم بإلجائهم إلى العطش وحصارهم في زاوية الهلاك، واستتبع ذلك ما كان من التنكيل بجثث القتلى، وسبي النساء، وترويع الأطفال وتشريدهم وملاحقة من بقي منهم والسعي إلى قتلهم واحدا بعد الآخر، وحمل رؤوس القتلى على الرماح يتقدمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام.

وان مشاهد التنكيل والترويع للنساء والأطفال، والفتك بالرجال وفي أفظع المشاهد وأكثرها قسوة ودموية في التاريخ الإنساني ما جرى في واقعة الطف الأليمة، والذي تفصلت في مشاهدها كتب السير وبالأخص منها ما ذكره المؤرخ أبو مخنف وغيره، من أصناف التنكيل وفظاعة الترويع ما يندى له جبين الإنسانية وما تأباه الشرائع السماوية والإنسانية، وبخاصة منها ما كان من مشاهد التمثيل بالقتلى، وقد ذكر الحديث النبوي حرمته بالنسبة للإنسان والحيوان بأنه "لا تجوز المثلة ولو بالكلب العقور"... وانه إذا ما قدّر العرض الكامل لتفاصيل الإجرام مما جرى في الطف فانها ستعد من بين أفظع وأشنع مشاهد الترويع في

التاريخ الإنساني، وانها تعيد الذاكرة لكل مشاهد الترويع والتنكيل بالأنبياء والأولياء في التاريخ الرسالي كله، ومنها بالأخص ما جرى للسيد المسيح عليه السلام وخاصة تلاميذه، وللنبي يحيى بن زكريا عليه السلام، وقد حمل رأسه الشريف إلى قاتله من الطغاة بمثل ما حمل رأس الإمام الحسين عليه السلام، وقد تمادى الطاغية في إجرامه بنكث رأس الإمام الحسين عليه السلام بقضيبه وبحضور من بقي من أسرته الشريفة، والاستهانة بقدر ومكانة الأسرة النبوية بذكر اسمها رياء في أذان الصلاة والتي هي كمثل صلاة المرائين الذين جاء السيد المسيح عليه السلام على ذكرهم في تقريعه للكهنة وشيوخ المدينة، وقد التقى الإمام الحسين عليه السلام في انتصاب رأسه الشريف مع السيد المسيح عليه السلام على سارية من سواري المجد الرسالي.

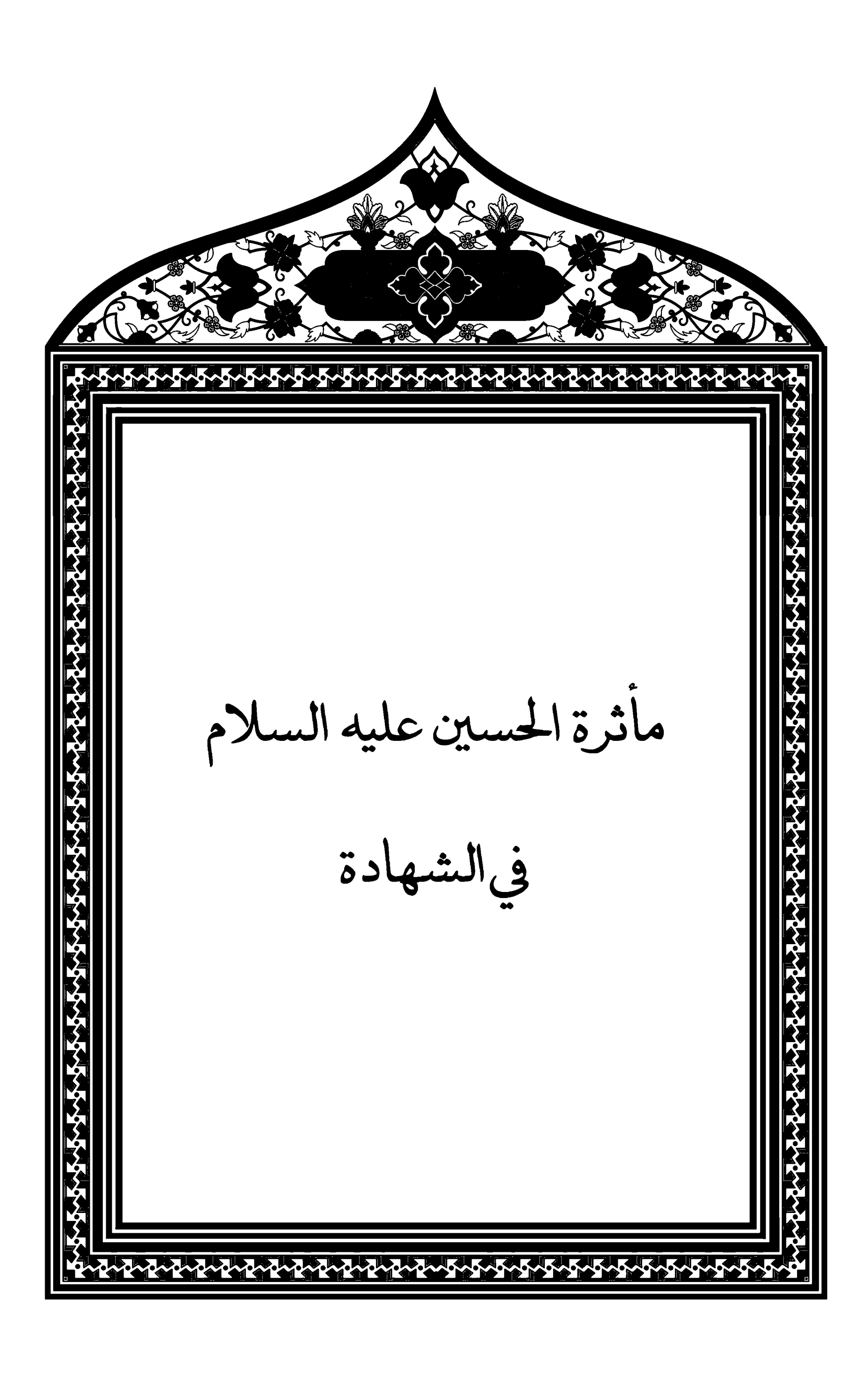
ويقينا فإنه وبأي الطبيعة والصورة التي كانت عليها الفجائع في التاريخ الرسالي، فإنها على الخط الواحد الذي تنتهي إليه وعنده الغاية الرسالية، وان الانباء المسيحي في الخلاص حين تجيء النهاية وتعلن "بشارة الله في العالم"، هي ذاتها التي اقرها الأنباء الإسلامي عن اللقاء المرتقب لوثبة الشهادة في التقاء اللواءين المسيحي والإسلامي في القدس، مجسدة بشخص السيد المسيح عليه السلام، وحفيد الإمام الحسين، الإمام المهدي عليهما السلام، وهما يتوليان مهمة إنقاذ العالم من الشرور التي توالت على مر الأحقاب، التي نال منها الأنبياء والأولياء والمؤمنون

معهم حصصا متفاوتة القدر من الكيد والتنكيل والبطش، وليسطع النجم الرسالي من جديد، وبكل عنفوانه ليرسم صورة الخلاص من محنة الشر في العالم، وانه عندما تجيء النهاية يؤول الأمر إلى توحد لواءي الإيمان السابق واللاحق مجسداً بشخص السيد المسيح وحفيد الإمام الحسين عليهم السلام ليحملا معا مهمة الخلاص الكبرى التي تشهد بوقائعها الأديان.

وفي تقدير السيد محمد الصدر فإن المنقذ العالمي الواحد، الذي سماه الإسلام بالمهدي وسماه السابقون اليهود والنصارى بالمسيح، وسماه آخرون بأسماء أخرى، ومعه يتعين ان يكون المسيح والمهدي لفظين أو صفتين لشخص واحد، هو المنقذ العالمي الواحد الموعود[١]، وان القيمة الاعتبارية لهذا الانجاز في نهاية الشوط الرسالي ان تحقيق ذلك سيتم عن طريق الذوات الرسالية الأكثر قدرة على فهم وجوه المعاناة من المظالم كونها قد ورثت عناء الظلم وتجرعت مرارته، وانها قد اختيرت لمثل ذلك الدور الذي امتثلت له في حضور شاخص في حياة سابقة، لتمتثل له في دورة جديدة تتعالى فيها على المعاناة والكيد وتنتصر عليه بإرادة عالية مستمدة بقوة من السماء.

---

(١) تاريخ ما بعد الظهور، ص٥٩٥.



مأثرة الحسين عليه السلام

في الشهادة

المواساة والموالاة الخالدة

والمواساة كمثل ما هي الموالاة حالة من التعاطف والنصرة مرهونة بظرفها وحالتها في سلوك البشر في كل جيل، وعلى وفق الاعتبارات السائدة، وتكون الموالاة هي الأخص في وحدة التعاطف المنحكمة إلى موقف مبدئي تندرج فيه الحالتان من وجوه التعاطف والنصرة معاً ليشكل ذلك عنواناً من عناوين الاعتقاد، ويلاحظ تماماً أن الولاء الديني، كمثل ما هي النصرة فيه تتفوق على ما سواها في ذلك، وهي الأكثر شأناً وقد كان تطورها ورسوخها تجسيداً للبعد المعتقدي في الأديان، وقد سرى مفعوله على المدى الطويل في حياة الأفراد والشعوب، وكان للأنبياء والأولياء حصة من ذلك، وفي حياة الشعوب نجد الشاهد التاريخي لذلك في حيوية الدور والمكانة المعتبرة لتلك الشخوص المؤثرة في مجرى حياتها، وحالة الإمام الحسين عليه السلام في المواساة والموالاة هي من بين تلك المشاهد الأثيرة لذلك اللون التاريخي المتجدد من المواساة والموالاة معاً، والتي يحمل تاريخ الأديان ألواناً منها،

كانت ولا تزال تقوم على وفق طقوس ومراسيم تؤدى بالطرق والوسائل التي يعهدها كل شعب بحسب موروثه المعتقدي، ومن بعض تلك المشاهد في التعبير عن المواساة والموالاة ما يكون في الذكرى المتجددة لواقعة الطف على هذا النحو الذي تتعدد مظاهره في مختلف البلدان التي يقيم فيها المتأسون والموالون للامام الحسين عليه السلام معالم الاستذكار لها بوسائل متعددة، هي عنوان ذلك الامتداد العاطفي في حالة من الرشد، أو في حالة من الغلواء، ما يوفي به المواسون والموالون، العارفون بتفاصيل واقعة الطف، والمستوعبون لدروسها، أو المنغمرون بعواطفهم في ذلك وعلى وفق وسائلهم في التعبير عن ذلك، متأسين بما كان من بشاعة وفظاعة ما جرى لآل بيت النبوة في واقعة الطف من القتل المروّع، والتمثيل بجثث الشهداء فيها وحمل رؤوسهم على الرماح ولمسافات طويلة، وما لحق بالسبايا من النساء والأطفال خلال ذلك من العسف والعنت، وما مر بعدئذ من المشاهد الانتقامية الفظة الأخرى التي جرت لآل بيت النبوة على مر السنين التي أعقبت واقعة الطف، والتي حركت بواعث الحزن والأسى في نفوس مواليهم، وقد تنوعت مظاهرها وأشكالها ما بين إقامة مجالس الأحزان، واحتفاليات الاستذكار لواقعة الطف، والتهافت على مراقد الأولياء الشهداء من آل بيت النبوة ومناصريهم، وجاهلٌ بحقائق السيرة الدينية للشعوب من ينكر على الناس مثل هذه المشاهد وطقوس التعبير عن

المواساة والموالاة لرموز الأديان والمضحين من أجلها، فقد شاهدت في أثناء زيارتي لبعض المعابد في الهند ذلك الإقبال على أضرحة الأولياء ومظاهر التقديس لهم، مع الاعتداد بسجل الأحداث المرتبطة بحياتهم والاحتفاء بها، وكمثل ذلك ما شاهدته في زيارتي لبعض المعابد في اليابان، وقد رأيت خيوط الأقمشة بألوانها المتعددة معقودة على جانب من ساحة النصب التذكاري للقنبلة الذرية التي ألقيت على مدينة هيروشيما، كما شاهدت النذور، وماء التبرك في أفنية الكنائس والمزارات المسيحية، وفي كل ذلك ما يقيم الدليل على أن مشهد التعبير عن المواساة والموالاة للأولياء هي على الحالة الواحدة من المكانة في النفوس معبراً عنها بشتى الصيغ والأساليب، وهي تمتد لتشمل كل نفس من كل دين وهي تتعاطف مع الفجيعة، وهو هذا الذي دفع بالبعض من المسيحيين للمشاركة في مواكب العزاء الحسيني وانه لعزائهم بفجيعة السيد المسيح (عليه السلام)، ومشاركة الصابئة في المواكب الحسينية، وانهم ليستذكرون في ذلك فاجعة النبي يحيى بن زكريا (عليه السلام)، وينصب نفر من الصينيين العاملين في احدى شركات التسويق في مدينة الناصرية موكباً لاستقبال زوار كربلاء المارين عبرها ولأيام، ثم لينتقلوا منها الى مدينة كربلاء وحتى أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، ويذكر "ليون" الرجل البوذي منهم: ان قضية الإمام الحسين عليه السلام هي قضية عالمية تخص كل الإنسانية، وهو هذا العائد الرسالي الكبير لثورة الحسين

(عليه السلام)، في توالي، وتواتر، وشيوع استذكارها وعلى هذا النحو المتجدد، والمتفاوت المشاهد، وهو هكذا يجسد الغاية من استذكار الأحداث المأساوية في التاريخ الإنساني.

وقد ظلت الحالة الحسينية في المواساة والموالاة تكتسب خصوصيتها في طبيعة المشهد وتكرره، وتنوع مظاهره، ففي المشهد الواحد من مواكب الذكرى لمأساة الإمام الحسين عليه السلام تجد ألواناً من التعبير تمتزج فيها العاطفة المرهفة المعبر عنها بالدموع، مع جلسات الاستذكار لما جرى في واقعة الطف تتخللها جوانب من الوعظ والإرشاد مع أناشيد الحزن ترافقها الدموع، ويمضي الشوط هكذا في مسيرات تتنوع فيها مشاهد التعاطف مع الأحداث المروعة في ألطف، متفاوتة بين الضرب الخفيف على الصدور والرؤوس إلى الضرب القوي عليها تأسياً، وتتجاوزها إلى ما هو أبعد من ذلك من حالات الأسى والتي تبلغ ذروتها في مسيرة الحزن الراجلة لمسافات طويلة تمتد من المدن البعيدة من كربلاء وإليها وهي تحمل معها كل ما يمكن التعبير فيه عن صدق المواساة والموالاة، مع ذلك السخاء في تقديم المآكل والمشارب لوفود الزائرين وعلى امتداد المسافات البعيدة عن كربلاء وحواليها، وقد وجدنا من الموالين من ينحر الذبائح التي يحرص على تهيئتها خصيصاً لأيام عاشوراء، وثمة من يخصص جزءاً من محصول أرضه لهذه الغاية، وهو يرى أن البركة تحل في إيرادها وفي المال الذي يبذله بسخاء لمثل هذه

المناسبة، وفيما تتوزع محطات الخدمة للراجلين بين المدن والقصبات البعيدة والقريبة من مدينة كربلاء المقدسة، ويقدم فيها من بين ما يقدم فيها "التمر" مخلوطاً بعصارة السمسم "الراشي"، المادة الغنية بالطاقة والحيوية والتي نوه بها الدكتور صبري القباني: أنها هي التي تمنح سكان الصحراء القوة وبعض صفاهم الأخرى كالرشاقة، والطول، والمناعة ضد الأمراض، وفيما كان في تاريخ العرب وقصص حياهم وحروبهم دور كبير للتمر كغذاء رئيس من أغذيتهم وبصورة تفسر كيف أنهم استطاعوا أن يجدوا القوة على أن يفتحوا البلاد والأمصار ويقاتلوا الدول، وليس في جوف المقاتل العربي سوى بضع تمرات، وذكر ان ابن الحمام السلمي في غزوة بدر قد انتحى ناحية له ليمضغ بضع تمرات حسب عادة المحاربين يومئذ(١)، وما يدرينا فلعل من المقاتلين العرب في واقعة الطف من كان له مثل ذلك مما لم ننبأ عنه بخبر يقين.

ومن الشواهد ذات الدلالة في مشهد المواساة بالصبر والفجيعة ما وجدناه في ذلك الموكب الذي حمل اسم "موكب النبي أيوب" الذي انتظم خلف لافتته لفيف من المواسين في أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) وهم من أهل الحي المجاور لمقام النبي أيوب (عليه السلام) والكائن في منطقة ما بين ناحية القاسم ومدينة الحلة مركز محافظة بابل، فكأن النبي أيوب (عليه السلام) هاهنا يعزي من خلال هؤلاء الإمام

---

(١) الغذاء لا الدواء، ص: ٩٦-٩٧.

الحسين (عليه السلام) في فجيعته والتي اشتملت في مأساته الدورة الكاملة للشهادة في التاريخ الرسالي.

ومن المشاهد الأثيرة من مشقات الزحام الشديد، والآلام في مسيرة الولاء والعزاء ما لم تكن فيه الآلام الناتجة من عثرات الطريق، وما يكون من الضرب على الصدور والرؤوس، وما يصيب البعض من الكدمات والجروح في أثناء ذلك مؤذية او مؤلمة لهم ومثالها في الجانب الاعتباري من ذلك ما يكون للمرأة التي لا تبالي بمشهد الألم والدم النازف منها في أثناء الولادة ولا يكون لذلك من أثر سلبي على صحتها، وتعليل ذلك أن المرأة في ذلك، وكمثل ما يكون للرجل وهو يتحمل عنف الصدمات وأهوال المواجهة لأقداره معتداً بإرادته في ذلك ما يفسر جانباً مما ذكرناه في موضوعنا عن "الصحة النفسية والطب الإداري" في أن ثمة ما يكون من المعالجة بالصبر، وأن في جسم الإنسان صيدلية تجهزه في الحالات الطارئة وبحسب الطلب من مركز القرار فيه بحاجته إلى المادة العلاجية، وان ثمة ما يشبه مركز الإسعاف الداخلي والذي يتولى إسعاف الأجسام المتحفزة والمتوقدة الإرادة بما يلزمها للصمود في مواقع المواجهة وعند الأعباء الجسيمة، وهو هكذا الذي قد حصل للأنبياء أولي العزم ولأوليائهم من الشهداء، أنهم قد استطاعوا بعزائمهم معززين بموارد الإمداد الروحي في ذواتهم، ومع ذلك القدر غير المحدود من إسعاف السماء وهي تمدهم بالفيض من القدرات الإضافية التي تقوي عزائمهم

في ان يمضوا قدماً في تبليغ ما كلفوا به وتحمل تبعاته ومع كل ما كلفهم ذلك من الكيد وألوان البطش ما ذكرنا نبذا منه في موضوعنا "رموز الشهادة والتضحية في الأديان"، ليكون لهم من ذلك شاهد من الذكر في الأرض تتعالى معه شواهد الاستذكار بالمواساة والموالاة لهم، هي التعبير الحي عن فيوض المشيئة الإلهية في إرادتها الغالبة، من أجل أن يظل الذكر الرسالي ومشاهده هذا الذكر وعلاماته في التضحية والشهادة شاخصة في الوجود ما شاء الله لها أن تشخص معبرة في ذلك عن خلود المشهد الرسالي في كل الأزمان عنواناً لخلود الله في الوجود.

المصادر

❖ القرآن الكريم.

❖ الكتاب المقدس - العهدان القديم والجديد.

١. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م.

٢. الإمام علي من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، دار الكتاب العربي، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

٣. أهل البيت في الكتاب المقدس، كاظم النصيري الواسطي، دار الأمصار، الطبعة الأولى.

٤. البداية والنهاية، ابن كثير، دار الأندلس، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.

٥. تاريخ ما بعد الظهور، محمد الصدر، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٢م.

٦. سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، دار المعارف، بيروت، الطبعة السادسة.

٧. السيرة النبوية، ابن هشام، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى.

٨. الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي، مطبعة مصر، ١٣١٢هـ.

٩. الغذاء لا الدواء، د. صبري القباني، دار العلم للملايين، الطبعة (٣٣)، ٢٠٠٨.

١٠. مختصر صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م.

١١. المقدمة، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٢. ملحمة قوافل النور، حسين بركة الشامي، دار الإسلام، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

١٣. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة، الرياض، ١٩٩٦.

١٤. موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

المحتويات

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران - الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي - الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي

١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمد حسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ - ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل	د. عبد الكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني

٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبدالستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبدالسادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسرالصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي ﷺ وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني

٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين التصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة- تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم مصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي